هكذا رأيت اسرائيل

محمد مصطفى

الغلاف بريشة الفنان :

مصطفى حسين

كتاب
اليوم
يصدر عن دار
أخبار اليوم
أول كل شهر

رئيس مجلس الإدارة :
إبراهيم سعده

رئيس التحرير :
نبيل أباظة

□ مارس ١٩٩٥

□ نوفمبر ١٩٩٥
طبعة ثانية

أسعار كتاب اليوم فى الخارج

الجماهيرية العظمى	١	دينار
المغرب	٢٥	درهما
لبنان	٢٥٠٠	ليرة
الأردن	١٥٠٠	فلس
العراق	٧٠٠٠	فلس
الكويت	٧٥٠	فلسا
السعودية	١٠	ريالات
السودان	٣٢٠٠	قرش
تونس	٢	دينار
الجزائر	١٧٥٠	سنتيما
سوريا	٧٥	ل . س
الحبشة	٦٠٠	سنت
البحرين	١	فلس
سلطنة عمان	١	بيسة
غزة	١٥٠	سنتا
ج . اليمنية	٣٥	بالا
الصومال نيجيريا	٨٠	بنيا
السنغال	٦٠	فرنكا
الامارات	١٠	درهما
قطر	١٠	ريالات
انجلترا	١,٧٥	جك
فرنسا	١٠	فرنكات
المانيا	١٠	ماركات
إيطاليا	٢٠٠٠	ليرة
هولندا	٥	فلورين
باكستان	٣٥	ليرة
سويسرا	٤	فرنكات
اليونان	١٠٠	دراخمة
النمسا	٤٠	شلنا
الدنمارك	١٥	كرون
السويد	١٥	فلورن
الهند	٣٥٠	روبية
كندا امريكا	٣٠٠	سنت
البرازيل	٤٠٠	كروبزو
نيويورك واشنطن	٣٥٠	سنتا
لوس انجلوس	٤٠٠	سنت
استراليا	٤٠٠	سنت

● الاشتراكات ●

جمهورية مصر العربية

قيمة الاشتراك السنوى ٣٠ جنيها مصريا

البريد الجوى

دول اتحاد البريد العربى ٢٠ دولارا

اتحاد البريد الأفريقى ٢٥ دولارا

امريكيا او مايعادله

اوربا وامريكا ٣٠ دولارا

امريكا الجنوبية واليابان واستراليا

٤٠ دولارا امريكيا او مايعادله

● ويمكن قبول نصف القيمة عن ستة شهور

● ترسل القيمة إلى الاشتراكات

٣ (١) ش الصحافة

القاهرة ت ٥٧٨٢٧٠٠ (٥ خطوط)

● فاكس : ٥٧٨٢٥٤٠

الاهداء

إلى روح المغفور له والدى ..

الذى علمنى أنه لن يضيع حق وراءه مطالب..

إلى أرواح الشهداء الأبرار

الذين ضحوا بأرواحهم الطاهرة ..

من أجل أن يولد سلام... نتمني أن يكون عادلاً

محمد مصطفى



بقلم : سعيد سنبل

لا يستطيع الصحفي أن يتحرر من أسر الصحافة ..!

ومحمد مصطفي .. هو واحد من الصحفيين البارزين الاكفاء القلائل الذين أسرتهم الصحافة .. واستولت علي كل تفكيرهم .. وأصبحت تتحكم في خطاهم، وحركتهم .. كما تتحكم أجهزة التوجيه من البعد «الريموت كنترول».. فى الأجهزة الالكترونية ..!

لذلك .. لم أدهش ، ولم أعجب .. عندما نبتت في ذهنه فكرة السفر الي اسرائيل لحظة مشاهدة ياسر عرفات وهو يصافح اسحاق رابين في حديقة البيت الابيض بمدينة واشنطن ..

لحظتها .. كان موجودا في المغرب.. وجلس مع مجموعة من اصدقائه يشاهدون ويتابعون لقاء عرفات ورابين علي شاشة التليفزيون..

ومن المؤكد .. أن عشرات الملايين .. وربما مئات الملايين .. تجمعوا في تلك اللحظة أيضاً حول شاشات التلفزيون في مختلف أنحاء العالم.. لمتابعة هذا الحدث التاريخي الذي نقلته الاقمار الصناعية الي مختلف عواصم العالم ..

ومن المؤكد أيضاً .. فإن ردود فعلهم إزاء هذا الحدث اختلفت وتباينت.. وسرعان ما انتقلوا بتفكيرهم الي اهتمامات أخرى ! .. ولكن محمد مصطفي الصحفي .. والذي استولت عليه الصحافة تماماً.. عاش تلك اللحظة بتفكير الصحفي! .. ولم يعتبر هذا اللقاء التاريخي.. مجرد لقاء مثير وحسب .. إنما

شعر بحسه الصحفي أن هذا اللقاء هو بداية تحول خطير في المنطقة .. وفي علاقات الدول الموجودة فيها ..!

والصحفي .. طبيعته الفضول .. فهو يريد أن يعرف ، وان يتحقق بنفسه.. وأن يصل الي الحقائق.. يجمعها.. ويربط بينها .. يكتبها.. وبعد ذلك ينشرها علي الناس.. لذلك لم يكن غريباً أن يفكر محمد مصطفي في تلك اللحظة في القيام بزيارة الي اسرائيل في محاولة للبحث عن الحقائق..

ويختلف الصحفيون في مصر ، وفي بلاد عديدة من بلدان العالم العربي حول زيارة اسرائيل .. إذ يقف بعضهم موقفاً عدائياً من هذا التفكير، ويدعون الي مقاطعة اسرائيل وعدم زيارتها.. بينما يري فريق آخر.. أن واجب الصحفي هو البحث عن الحقائق، وجمعها، ونشرها علي الناس ..وهذا يقتضيه أن يتواجد في موقع الاحداث .. أياً كان الموقع ..!

وكان محمد مصطفي واحداً من أعضاء الفريق الذي يدعو الصحفيين الي مقاطعة اسرائيل ، والامتناع عن زيارتها !.. وكثيراً ما كتب وهاجم اسرائيل وانتقد ممارساتها اللاانسانية ضد المواطنين العرب.. ولكن أمام المشهد الذي امتدت فيه يد الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات لتصافح يد رئيس الوزراء الاسرائيلى اسحاق رابين .. تحرك فيه إحساسه الصحفي ، واحس برغبة شديدة في زيارة اسرائيل ، وزيارة الأرض المحتلة .. والتعرف علي حقيقة الأوضاع القائمة هناك.. والأوضاع التي سوف تترتب عن هذه المصافحة التاريخية!..

وكلمة اسرائيل لا تزال تثير حساسية لدي البعض .. وتثير أحاسيسا مختلفة ومتباينة لدي الكثيريين منا .. ولا تزال أغلبية الشعب العربي تشعر

بالتردد والرغبة في الابتعاد .. إذا تعلق الأمر باسرائيل.. وليس هذا بالأمر الغريب .. فقد عشنا ما يقرب من نصف قرن كامل في صراع دموي ودامي مع اسرائيل .. وفي ظل هذا الصراع.. كثيراً ما سادت الغوغائية.. وبالتالي اختلطت المفاهيم وغابت العديد من الحقائق!..

وكانت أكبر عيوب العالم العربي - ولا تزال - غياب مفهوم حرية الصحافة.. وحرية الصحافة لا تعني حرية الكتابة بقدر ما تعني حرية انتقال الحقائق والمعلومات الي قارئ الصحف ..

وفي ظل مناخ افتقدت فيه البلاد العربية لحرية الصحافة.. لم نعرف خصمنا وعدونا علي حقيقته .. إنما تخيلناه من خلال الصورة التي كانت تقدمها لنا وسائل الاعلام الرسمية .. التي تعبر عن رأي الحكومات وتوجهاتها..

ولأن الحكام العرب كانوا لا يكفون عن التهديد بسحق اسرائيل وتأديب اسرائيل .. وتدمير اسرائيل .. وإلقاء اسرائيل في البحر .. كما أن بعضهم كان يصر علي وصفها باسرائيل المزعومة!.. فقد عشنا نتصور.. ونتخيل.. ونتمني لحظة تتحقق لنا فيها المواجهة مع اسرائيل حتي نتخلص منها ومن شرورها !..

وحانت تلك اللحظة في ٥ يونيو ١٩٦٧م .. ويومها تصورت الشعوب أن لحظة الخلاص من اسرائيل قد حانت ، وحلت .. وخرجت الناس صباح ذلك اليوم تهلل في الشوارع، وتتبادل التهنئة .. علي وعد باللقاء في تل أبيب.!!

ولم تكد تمضي أيام معدودة .. حتي اكتشفت الشعوب العربية أنها كانت تعيش في وهم كبير .. وأن الصورة التي صنعتها لاسرائيل من خلال

وسائل الاعلام العربية كانت صورة زائفة وكاذبة.. تعبر عن أماني الحكام العرب .. ولا تعبر بأى حال من الاحوال عن حقيقة الاوضاع داخل اسرائيل..!

إن غياب الحقائق عن الشعب العربي .. كانت أكبر جريمة ارتكبها الاعلام العربي الموجه، الخاضع لسيطرة الحكومات .. لأنها جعلتنا نجهل حقيقة خصمنا ونخطئ حساباتنا وتقديراتنا .. رغم أنه من الحقائق المعروفة أنه لكي أتغلب علي خصمي يجب أن أدرس حالته بعمق ، وان اكتشف مواطن الضعف ، ومواطن القوة فيه.. وهو الأمر الذي غاب تماماً عن الشعوب العربية قبل لحظة المواجهة التي انتهت بهزيمة عسكرية .. جرحت كل عربي ، وتركته ينزف دما ودمعاً ..

واستغل الاسرائيليون ما حدث في أعقاب معركة ٥ يونيو .وشنوا ضد الشعوب العربية حرباً نفسية قاتلة .. صورت الانسان الاسرائيلي في صورة السوبرمان !.. ووصفت الجيش الاسرائيلي بأنه الجيش الذي لا يقهر ..!

وصدق الكثيرون من العرب هذه الادعاءات .. وعاشوا تحت تأثير هذا الوهم بضع سنوات .. إلي أن تغيرت الصورة تماماً فى أعقاب حرب ٦ أكتوبر ١٩٧٣م.. واكتشف الناس في العالم العربي ..انه في الامكان قهر الجيش الاسرائيلي ؟.. وقد تم قهره بالفعل ..! وان الجندي الاسرائيلي ليس «سوبرمان» .. كما صورته الدعاية إنما هو انسان عادي ، يجري ويهرب.. ويقع في الأسر !.. وان اسرائيل ليست دولة فريدة من نوعها .. وانما هي دولة قابلة للهزيمة والكسر ..

وبدأ العالم العربي يعرف الحقائق أكثر وأكثر .. وبدأ الناس في العالم

العربي يبحثون عن الحقيقة .. ويحرصون علي معرفتها .. وقد ساعد المناخ الذي ساد بعد ٦ اكتوبر علي بث الراحة النفسية في النفوس العربية التي استعادت ثقتها في نفسها .. وفي قدراتها ..

ولكن .. وفي أعقاب زيارة الرئيس الراحل أنور السادات لاسرائيل، ودعوته الي السلام .. عادت غوغائية الحوار والنقاش الي العالم العربي من جديد .. وانقسم الناس – علي الأقل في العلن– بين مؤيد لهذه الزيارة ومبارك لها .. وبين رافض لها ، ومتهما من قام بها بالخيانة والعمالة !!..

ومن جديد اختلطت المفاهيم .. وغابت الحقائق .. واصبحت الأمور.. إما ابيض وإما أسود ..

واليوم بعد أن تصافح رابين مع عرفات .. وبعد أن وقعت الاردن معاهدة سلام مع اسرائيل.. وبعد ان اصبح الاتفاق الاسرائيلي السوري أمراً حتمياً.. فإننا في هذه الايام التاريخية أحوج ما نكون الي معرفة الحقائق عن اسرائيل.. بأمانة وموضوعية ودون مبالغة أو حكم مسبق.

وهذه هي وظيفة الكتاب والصحفيين .. وهذا هو واجبهم .. وهذا ما فعله الصحفي القدير الباحث عن المتاعب محمد مصطفي .. عندما قرر السفر الي اسرائيل في محاولة للبحث عن الحقيقة ..

وقد سافر بعض الصحفيين من قبل الي اسرائيل .. وعادوا وكتب بعضهم تحقيقات مقتضبة لا تقدم أية صورة لحقيقة الأوضاع في داخل اسرائيل .. بينما نشر بعضهم كتباً سيطرت عليها المشاعر .. أكثر مما سيطرت عليها الحقائق ..

ولكن هذا الكتاب الذي اختار له كاتبه ومؤلفه عنوان « هكذا رأيت اسرائيل» يعبر بصدق وموضوعية ، وبطريقة صحفية مشوقة عن حقائق كثيرة داخل اسرائيل يجهلها المواطن العربي ، ولا يعرفها !..

ولم يكتف المؤلف بالجلوس في الفنادق .. والاكتفاء بسماع القصص والحواديت .. إنما أمضي أسبوعين كاملين يتنقل من مكان الي مكان.. ومن موقع إلي آخر .. يلتقي بالناس .. ويتحاور مع السياسيين ، ومع العسكريين.. في محاولة منه لنبش الآراء المختفية داخل عقولهم ..

ولم يكتف باللقاءات والأحاديث .. إنما خاض في حقول الألغام .. أقصد زار القدس .. والجولان .. والمستوطنات .. وقدم صورة صادقة لكل ما رآه وما سمعه .. من أطراف مختلفة تباينت أحاسيسها ، واختلفت آراؤها ..

إننا في أشد الحاجة الي معرفة الحقائق .. وبالذات في هذه الفترة التاريخية .. التي تعتبر نقطة تحول مصيرية في العلاقات العربية الاسرائيلية .وكتاب « **هكذا رأيت اسرائيل**» يوفر هذا الأمر ويحققه..

وهو في رأيي .. ليس مجرد كتاب يضاف الي المكتبة العربية .. إنما هو إسهام في تأكيد حرية الصحافة .. لأنه ينقل الي الناس الحقائق مجردة .. وبغير تلوين ..

سمير سنبل

قبل أن نقرأ ..

كانت البداية عندما ذهبت الي المغرب تلبية لدعوة الحكومة المغربية لحضور حفل افتتاح المسجد الكبير الذي شيده الملك الحسن الثاني كتحفة معمارية رائعة فوق مياه المحيط الاطلسي

وفي مثل هذه المناسبات عادة ما يلتقي الزملاء والاصدقاء من الصحفيين الذين تبعدهم الظروف وتقربهم الأحداث .. وهكذا التقينا نحن الثلاثة - بابكر حسن مكي ورمزي صوفيا وانا في منزل صديق رابع هو الاستاذ / أحمد الجار الله

وبينما نحن نتناول طعام العشاء ونتابع بشغف وإثاره ما نراه علي شاشة التلفزيون .. أخذنا نرقب المصافحة التاريخية بين عرفات ورابين .. ورحنا نتمتم ببعض الكلمات المعبرة عن دهشتنا .. بينما جلس احمد الجار الله يتابع دون أن تظهر علي وجهه أية ردود فعل..

وأدهشتني تعبيرات وجهه المستقرة فسألته مناوشاً :

معقول هذا الذي نراه ؟ .. فقال بهدوء لم لا ؟ .. ثم راح يترحم علي السادات وعاد لبعض ما كتبه عن السلام بين مصر واسرائيل .. وأردف قائلاً : لو سمعوا كلامه لكان حالهم قد تغير غير الحال ..

وفجأة لمع في ذهني خاطر غريب .. فسألت أحمد الجارالله ما رأيك لو سافرت لاسرائيل ؟! قال : تقصد أنا أم أنت؟.. قلت : أنا .. فجاء رده أسرع مما توقعت : توكل علي الله ..

وهل ستنشر تفاصيل هذه الرحلة في السياسة ؟..

– هل لديك شك في هذا ؟! ..

غادرنا منزل أحمد الجار الله أنا وصديقي بابكر الذي أصر علي دعوتي لقضاء الليلة عنده .. وفي الطريق سألته إن كان يعتقد أن أحمد الجار الله جاد في موافقته علي نشر نشاطات رحلتي الصحفية في جريدته ، لكن بابكر رد علي سؤالي بسؤال : وهل أنت جاد فعلاً في قيامك بهذه الرحلة ؟ .. وتاهت من أمام عيني معالم الطريق وأنا أحاول أن أجد اجابة لسؤاله: هل أنا جاد فعلاً في الذهاب الى اسرائيل ؟!

هل استطيع أن أفعل ذلك ؟ أنا الذي كتبت عشرات المقالات أهاجم فيها اسرائيل وممارساتها الوحشية .. ثم انني معروف بين أصدقائي وزملائي بشدة عدائي لاسرائيل .. فما الذى حدث ؟! هل سقط الحاجز

النفسي الذي كان الرئيس الراحل أنور السادات يتحدث عنه ؟! .. أم إن مصافحة عرفات ورابين أصابتني بعدوي السلام ؟!.

فى الصباح وعلي مائدة الأفطار رحت من جديد أناقش صديقي بابكر.. فقلت له: لو اتيحت لك فرصة زيارة اسرائيل. هل تفعلها؟ ..

فقال : هي تجربة صحفية مثيرة .. لكن دعك من رأيي .. فإذا كنت قد عزمت فتوكل علي الله ! كنت شديد الحرص علي معرفة رأي بابكر فهو بالاضافة لكونه صحفي متميز فإنه من الأصدقاء الذين لا يخفون آرائهم أو يسلبونها ألوانا كما أن له نفس توجهاتي القومية.. ولعلني لهذا السبب لم أشعر بارتياح لاجابة بابكر .. واكتفيت بهذا القدر من الحيرة حتي عدت الي القاهرة ..

في القاهرة التقيت باثنين من اصدقاء المهنة .. اثنان من كبار الصحفيين .. احبهما وأثق في آرائهما .. ولا نكاد نفترق .. صارحتهم بفكرة سفري الي اسرائيل .. في البداية بدا التحفظ في رد كل منهما .. وعندما رحت اشرح لهما مبرراتي ادركا ان القرار قد استقر في عقلي وانه لا مفر فأخذا يوجهان لي النصائح .. واراحني ذلك كثيرا، وبسرعة اتصلت بصديقي اسماعيل منتصر مدير تحرير مجلة اكتوبر طالبا مساعدته في الحصول علي بعض الكتب الخاصة باسرائيل. وعندما سألني عن السبب صرخ قائلا: معقول..أنت تسافر اسرائيل..ووجدت نفسي مطالبا بان أوضح له دوافعي ومبرراتي ..

وطالت محادثتنا التليفونية .. وأتفقنا أن يرتب لي اسماعيل لقاءا مع محرر الشئون الاسرائيلية بمجلة اكتوبر الذي زار اسرائيل كثيراً والذي أخذت اسأله بنهم عن أهم الأماكن التي يجدر زيارتها والشخصيات التي يجب أن التقي بها ، وبالفعل فقد كان الزميل حسين سراج يحدثني عن اسرائيل بتفاصيل التفاصيل .. وغرقت لايام في مجموعة كتب ومعلومات أتيت بها من جهات عديدة..أخذت التهمها..

* * *

وسافرت قبل أن اسافر!

الآن اصبحت أمامي صورة واضحة عن كل شئ ، وبدأت الترتيبات العملية فاتصلت بصديق يدير شركة للسياحة تمثل شركة سياحة اسرائيلية ، وطلبت منه تنظيم رحلة لاسرائيل .. فطلب مني اعداد قائمة بالاماكن التي أرغب في الذهاب اليها والشخصيات التي اعتزم رؤيتها والتحاور معها .

ولم تمض سوي ايام قليلة حتي اتصل بي صديقي ليبلغني ان كل شئ قد تم اعداده وادهشتني السرعة التي استطاع بها اعداد كل هذا العمل الذي يحتاج لاضعاف هذا الوقت ،، وراح احمد عز العرب يقول لي لقد حجزت لك علي طائرة اير سيناء المتجهة الي تل ابيب بعد غد ، قلت ولماذا هذا التسرع يا صديقي ارجوك اعطني مزيدا من الوقت.. قال أنا لا أري أي مبرر للتأخير .. أنت خايف ولا أيه ؟ قلت:

لأ طبعا .. حخاف من أيه ؟! الواقع اني لم أكن ساعتها انطق بالحقيقة، فقد كنت ألف خائف .. من ماذا ؟ لا أعرف! ..

نحن الآن نستعد للهبوط في مطار بن جوريون .. يا آلهي هل ما أسمعه صحيحاً!! وانتابتني مشاعر متباينة..سمها الخوف..سمها القلق..سمها الندم..سمها ما شئت ،وتمنيت لو كان الأمر لي أن اصدر تعليماتي لقائد طائرة اير سيناء أن يستدير عائدا الي القاهرة ..

وبخطوات متثاقلة رحت اهبط سلم الطائرة ، كان صوت دقات قلبي يعلو علي صوت أقدامي علي السلم ، وأفقت من شرودي علي صوت ينادي اسمي .. قدم الي نفسه علي انه مندوب وزارة الخارجية .. وبينما انا اصافحه سمعت صوتا ثانيا ينادي علي اسمي فاذا به مصري .. عرفت انه لطفي عليوة الملحق الصحفي بالسفارة المصرية ، وقدمني لمصري آخر قائلاً زميلي الاستاذ جمال عبد الناصر – الملحق الاداري للسفارة ..

قلت : عبد الناصر ، وهنا في اسرائيل ياللهول .. قلتها علي طريقة يوسف وهبي في محاولة للتخفيف من الجو المرعب الذي يسيطر علي مشاعري .

وقف الاربعة تحت سلم الطائرة .. جيل مندوب الخارجية الاسرائيلية والسائق أدمون، ولطفي عليوة وزميله جمال عبد الناصر، وبعد قليل انضم اليهما اثنان آخران قدما نفسيهما علي انهما موفدان

من شركة السياحة التي نظمت لي الرحلة وأخبراني بالتوصيات الكبيرة التي تلقوها من صديقهم وصديقي أحمد عز العرب بالقاهرة، ووجدتني محاطاً بهذا الوفد من المستقبلين ، وكذلك محاطا بنظرات ركاب الطائرة الذين قفز من أعينهم سؤال كبير : «يبقي مين حضرته» ؟..

انقذني الملحق الاعلامي لطفي عليوة بقوله : سيادة السفير في انتظارك اتفضل معانا .. السيارة بالخارج .. نظرت الي جميع المستقبلين ولم اتكلم ، لكن عيني كانت تقول : كما تروني .. سيادة السفير في انتظاري . وعلي الفور اخرج كل منهم بطاقة فيها بياناته.. واقترب مندوب الخارجية مني وقال بأدب سوف نلتقي في الصباح لتناول الافطار سوياً ونناقش برنامجك ونتعرف علي اقتراحاتك ..

ودون أن يسألني عن موعد استيقاظي أردف قائلاً : أوكي في الثامنة صباحاً نلتقي بالمطعم !

وفي دقائق معدودة انتهت الاجراءات وأخذت جوازي مطبوعاً علي احدي صفحاته تأشيرة الدخول الي اسرائيل ، لم يفتح احد حقائبي، وانطلقت بنا السيارة الي مقر السفارة المصرية بتل أبيب حيث كان استقبال السفير محمد بسيوني لي حافلاً أزاح عن كاهلي المشاعر القاسية التي انتابتني منذ غادرت منزلي وحتي دخولي مبني السفارة المصرية ..

جلست اتابع لقاءا ضم مجموعة من أعيان غزة ورموزها جاءوا يقدمون تهنئتهم للسفير المصري بمناسبة إعادة انتخاب الرئيس مبارك لفترة رئاسة جديدة ، واتابع عن قرب القضايا التي يطرحها ابناء غزة .. معاناتهم وآمالهم .. وبعد قرابة الساعة ودع السفير بسيوني ضيوفه وجلس بجانبي يراجع معي جدول اعمالي ويسدي الي النصيحة في اضافة اسماء جديدة من الشخصيات التي يجب ان القاها في الأرض المحتلة ..

سألني السفير محمد بسيوني : متي تريد أن تبدأ ؟ .. قلت : الان.. امسك سماعة التليفون وراح يجري اتصالاته .. كنت اتابع الحديث الودي الذي جري بينه وبين كل من الجنرال الاسرائيلي الشهير ابراهام تامير ولطيف دوري سكرتير رابطة الصداقة الفلسطينية الاسرائيلية وهما من اليهود المؤيدين للحق العربي ، وكذلك الياس فريج رئيس بلدية بيت لحم .

ووجدت نفسي ادخل في دوامة العمل منذ الساعات الاولي لوصولي الي اسرائيل .. وكان اللقاء الأول مع الجنرال « ابراشا » كما يطلقون عليه في اسرائيل صحبني لطفي عليوة الملحق الصحفي بعد أقل من ساعتين من وصولي للسفارة المصرية الي مجمع «دزينجوف» الشهير في قلب تل ابيب .. وفي منطقة تجارية تعج بالبشر .. الحركة سريعة .. الايقاع سريع .. وامام دزينجوف تذكرت صديقي الفنان

محمود عبد العزيز واحداث مسلسل رأفت الهجان ، ولا أعرف لماذا تصورت انني سألتقي بمحمود عبد العزيز في هذا المكان وكذلك «استر» الجميلة وباقي نجوم مسلسل الهجان !

استقبلنا الجنرال السابق «ابراشا» وجهه لا يبتسم ، ومنذ بداية اللقاء حدد لنا مدة اللقاء ، ليس أكثر من ساعة ونصف ، كان ابراشا هو أول اسرائيلي التقي به في حياتي وبيته المتواضع هو أول بيت يهودي ادخله .. شقة ضيقة لكنها جيدة التأثيث .. البار يحتل مكانا بارزا في مدخلها .. سألتني زوجته في أدب ورقة عن المشروب الذي افضله ثم راحت تحضر عصير الليمون وتسألني عن مصر وتحكي عن ذكريات زيارتها واعجابها برقة المصريين بينما رحت أتأمل تل ابيب من هذا المكان العالي .. لا شك أنها مدينة جميلة .. البنايات شاهقة ولونها أبيض يعانق الاشجار والنباتات المنتشرة في كل مكان ، الزحام يغلب علي شوارعها .. زحام سيارات وبشر .. لكن المرور شديد النظام .

لا تزال زوجة ابراشا توجه لي اسئلتها ، انطباعاتي عن تل أبيب التي وصلت اليها منذ ساعات قليلة وأنا لاأزال في حالة عدم توازن، ثم بدأ جهاز التسجيل يدور فانطلق ابراشا في الحديث بجدية عن المواقع المرموقة التي شغلها في جيش الدفاع الاسرائيلي والتي شارك من خلالها في جميع الحروب التي شهدها الصراع العربي

الاسرائيلي... الي أن وصل إلي أن يكون أقرب مساعدي مناحم بيجين رئيس الوزراء الاسبق.

كان ابراشا يتحدث بصوت عال جدا وعصبي .. أما ماكان يصلني من ترجمة عبر لطفي عليوة الذي يتحدث العبرية بطلاقة .كلمات ناعمة تحمل منطقا سويا ، وبعد قرابة الساعة بدأ ابراشا يتحدث بصوت نبراته يسودها الهدوء وبدأت أساريره تنفرج ويبتسم أحياناً ويضحك كثيراً .. فقد انتهي من حديث ذكريات الحرب ، وبدأت رؤيته لمرحلة السلام القادم علي المنطقة ، وفي هذا اللقاء.. قال الجنرال ابراهام تامير كلاماً مهما عما أحدثه نصر أكتوبر من تغييرات جذرية في المجتمع الاسرائيلي ونظرته لقضية الأمن بشكل عام .. وأعجبني وصفه للمستوطنات الاسرائيلية بأنها قنبلة موقوتة، وان استمرارها يعني القضاء علي اسرائيل ..

وأبديت له دهشتي من أن اسمع منه مثل هذه الكلمات عن السلام، وقد كان واحدا من صقور الحرب في الآلة العسكرية الاسرائيلية وشرح لي ابراشا تفاصيل هذا التحول، لكني توقفت عند كلماته التي قالها بانفعال شديد (لقد مللنا الحرب، وأن الحرب تعني الدمار والدموع وفراق الأحباء .. أما السلام فيعني الحياة بكل مافيها من مباهج وتواصل!..)

خرجت من بيت ابراشا والدهشة الكاملة تتملكني فلم أكن قد

أعددت نفسي لسماع كلام كالذي سمعته ، وكان موعدي مع لطيف دوري قد حان ، وعندما جلست اليه استمع لاجاباته علي أسئلتي المتلاحقة بدا لي أن في اسرائيل تيارا لديه قناعة عميقة بضرورة إحلال السلام ونبذ الحرب ، ولكن مفهوم السلام الذي تنادي به التيارات في اسرائيل مفهوم متباين وتفسيرات كل طرف لشكل وتفاصيل هذا السلام تمثل تناقضات عميقة تحتاج الكثير من الوقت حتي تتلاقي علي طريق سلام عادل يعطي لكل الاطراف حقوقها المشروعة .

السلام الذي يراه المواطن الاسرائيلي لطيف دوري سكرتير رابطة الصداقة الاسرائيلية الفلسطينية .. سلام ايجابي يستنكر القهر والظلم والاستبداد ، وينبذ الاحتلال بكل آثامه وتناقضاته .. سلام يطالب بالحق العادل ومشروعية ان يعيش اليهود والعرب علي أرض واحدة وأن ينشأ بينهم سلام اجتماعي ، ان سلام لطيف دوري ومن قبله ابراهام تامير سلام ايجابي ، ولكن هل هناك كثيرون في اسرائيل يؤمنون بمثل ما يؤمن به هذان الرجلان ؟..

هذا السؤال الذي استغرق مني ساعات طويلة من الليل والنهار وطوال اسبوعين بحثاً عن اجابات شافية له ، ربما ساهم هذا الكتاب في تغطية جانب من تلك الاجابة .

كان اليوم مرهقاً .. مرهقاً جداً .. التقيت خلاله بثلاث شخصيات

وأجريت حوارين طويلين .. كان علي أن اعود من تل أبيب الي القدس حيث كان اصراري كبيراً أن تكون مقرا لاقامتي طوال الرحلة .. المسافة بين تل أبيب والقدس تستغرق حوالي الساعة ، ركبت تاكسي من أمام أحد الفنادق وفوجئت به يطلب مني ٢٣٠ دولار ، رحت أتأكد من الرقم في دهشة (٢٣٠) دولار .. ليه؟!!.. قال السائق الفلسطيني طبعاً ده تاكسي مخصوص .. قلت في نفسي وافرض مخصوص ٢٣٠ دولار؟!.. لاحظ السائق دهشتي فقال : التاكسيات هنا غالية بالنسبة لكم فانت تستطيع ان تركب من القاهرة الي الاسكندرية بمثل هذا الثمن .. قلت : بل تستطيع ان تذهب بنصف هذا المبلغ من القاهرة الي اسوان انت متأكد ان الاجرة ٢٣٠ دولار امريكي .. ضحك واخرج قائمة التسعيرة فوجدتها (٢٧٠) دولار وابلغني السائق انه خفض لي ٤٠ دولارا لأني مصري (والمصريين حبايبنا) دفعت صاغراً وانا اقول بصوت مسموع (عمار يا مصر) ..

لم أقاوم رغبتي الشديدة في النوم فقد كنت متعباً جداً ، ولم افق إلا علي جرس التليفون في الثامنة إلا ربع صباحا وصوت عربي يقول استاذ محمد نحن في انتظارك في اللوبي لنتناول الافطار سوياً ..

– مين حضرتك ؟

– انا جيل من ادارة المراسم بوزارة الخارجية ومعي بعض الزملاء.

- حاضر .. سأكون جاهزا بعد ١٥ دقيقة

في بهو الفندق وجدت عددا من الأشخاص ينتظروني .. اثنين من وزارة الخارجية - السائق المرافق - مسئول مكتب شركة السياحة التي ستنفذ برنامج رحلتي - مذيع يهودي مصري يعمل في التلفزيون الاسرائيلي، وذهبنا جميعاً الي المطعم .

للحق أقول ان جيل موظف وزارة الخارجية ، وهو شاب صغير السن .. كان غاية في الذوق والأدب وهو يرحب بي ويقدم استعداده لتسهيل مأموريتي ، ولا أعرف لماذا اخذتني حماسة عنترية عندما قلت له : اسمع ياسيد جيل أرجو أن يكون واضحا أن أي تسهيل ستقدمه لي لن يقابله اي تغيير في وجهات نظري وقناعتي وموقفي وبالتالي ما سأكتبه عن رؤيتي هنا .. بصراحة أنا لم آت لأروج لاسرائيل.

التفت الي جيل في دهشة وصنع علي شفتيه ابتسامة راحت تنقل الي انطباعاته ، ماذا تقول يارجل وهل طلب منك أحد ذلك؟ لم يقل جيل هذه الكلمات لكن ابتسامته ونظرات عينيه راحت تقول لي ذلك بالنيابة عنه .

في أدب شديد قال جيل .. محمد .. انا هنا لأؤدي واجبي نحوك كصحفي ، انها مسألة مهنية نقوم بها نحو أي صحفي زائر لبلادنا، واسألهم جميعا هل طلبنا من أيهم ان يكتب أو لا يكتب .. بالمناسبة نعرف أنك لا تحب اسرائيل .. لكن أنت حر .. صدقني كثيرون

يفهموننا خطأ .

شعرت بخجل شديد ، فقد أحسست أني تسرعت وأنني تصرفت بعيداً عن اللياقة ، وانه كان علي ان انتظر فاذا طلب مني أحد شيئاً لا يتمشي مع رأيي وقناعتي رددته .

المهم جلس جيل وزميله ادمون يناقشان برنامجي وكان ابرز ما فيه ... الحديث مع بعض الشخصيات الاسرائيلية والفلسطينية حددتها في كشف سلمته له ، وزياراتي لمناطق مثل مبني الكنيست ومركز الهاواسا الطبي ومناطق عديدة في الضفة الغربية وحيفا وعكا ورأس النافورة والجولان اضافة لغزة واريحا .

وافق جيل علي كل البرنامج باستثناءين .. أولهما الذهاب الي غزة حيث الأحداث ملتهبة هناك ، والثاني مقابلة عزرا وايزمن رئيس الدولة حيث يحظر عليه لقاء الصحفيين والتحدث اليهم خاصة في الشئون السياسية والاحداث الراهنة !

قلت اتركوا لي غزة ووايزمن سأحاول بنفسي ، وكذلك لقاء الشخصيات الفلسطينية فلم اكن في حاجة لوساطة الاسرائيليين في اتمام لقائهم اضافة الي انني كنت احمل عددا من رسائل توصية خاصة من الصديق غازي فخري المسئول الثقافي في سفارة فلسطين بالقاهرة ، وفي القدس كان لي أصدقاء أبرزهم الصحفي الفلسطيني اسماعيل عجوة الذي صحبني في لقاءات عديدة ومناطق كثيرة اثناء

زيارتي .

كنت شغوفاً أن أعرف كل شئ ، واري كل شئ واسجل كل هذا .. استخدمت كل ادوات الصحفي .. الورق والمسجل والكاميرا .. بالاضافة الي ما اختزنه عيناي ، وكنت مرغما أن أقارن مأأراه وأسمعه بما لدي من معلومات مسبقة وقراءات عديدة .

امتدت رحلتي اسبوعين ، كنت خلالهما اعمل ساعات طويلة .. كان يومي يبدأ عادة في السابعة صباحاً ، وينتهي بعد الثالثة صباحا ، ولم اكن احصل الا علي قدر ضئيل جداً من النوم لكن الحماس والدأب كانا وقودين لهذه الرحلة الشاقة .

ولم يسلم الأمر من مخاطر عديدة تعرضت لها مثلما حدث عندما كنت عائداً الي الفندق في سيارة الصديق الصحفي اسماعيل عجوة من احد قري الضفة الغربية، وفوجئنا بطلقات نارية بالقرب من الطريق الذي كنا نسير فيه وقد استوقفتنا دورية اسرائيلية .. فحصت أوراقنا وطلبت منا الانتظار حتي ينتهي الاشتباك بين افراد الشرطة الاسرائيلية وبين رجال «حماس» ولأكثر من ساعتين ظللنا في مكاننا داخل السيارة ننتظر الفرج وطلقات الرصاص لا تنقطع حتي انتهي الاشتباك وسمحوا لنا بالتحرك .

وكثيرا ما كان يتكرر هذا المشهد ، ورغم ان اصدقائي بالقاهرة نصحوني بعدم التحرك ليلا الا انني اكتشفت انني غير قادر – وسط

برنامجي المزدحم - علي التمسك بأية نصيحة.

وفي غزة وبينما انا في سيارة احد عناصر حركة حماس تجوب بي الشوارع الضيقة المؤدية الي مخيم الشاطئ .. اخذت التقط الصور ، فالصور لها أهمية مضاعفة في مثل هذه المهمات الصحفية الخاصة ، فجأة قفز أمام السيارة شاب يحمل (كليشنكوف) وأمرنا بالنزول ، فما كان من مرافقي إلا أن صرخ في وجهه سائلاً عن اسمه واقترب منه وهمس في أذنه بكلمات لم اسمعها .. انسحب علي أثرها الشاب في هدوء شديد ليقول لي صاحبنا صور يا استاذ ما تريد .. دا ولد زعران ما بيسوي .. صور لا تخاف ..

أما أكثر لحظات الخوف الانساني التي انتابتني خلال هذه الرحلة فكانت داخل حائط المبكي .. فقد اعتذر مرافقي أدمون وهو يهودي من أصل يمني - عن مرافقتي الي المسجد الأقصي بالسيارة فأوقفها بعيداً عن المسجد وأشار لي من بعيد عن الطريق الذي أسلكه للدخول الي المسجد، ولم يشأ الاقتراب حيث يقوم الصبية بألقاء سيارات الحكومة بالحجارة .. مشيت في الطريق الاذي أشار لي عليه متجهاً إلي أحد أبواب المسجد الأقصي ، وإذا بي أجد نفسي وسط مجموعة من الرجال يضعون الطواقي السوداء علي رؤوسهم وقد طالت لحاهم وارتدوا ملابسا تشبه ملابس السهرة باللون الأسود ، وفي أيديهم كتباً واخذوا يميلون للأمام تارة والي الخلف تارة اخري ، وهم يتمتمون

بكلمات غير مفهومة ووجوهم متجهة الي حائط كبير .. ياآلهي .. انه حائط المبكي الذي قرأت عنه ، لم يصادفني رعباً طوال حياتي مثلما تملكني رعب هذه اللحظات ، لم يكن في برنامجي أن أزور حائط المبكي وأن اقف في هذه الساحة الكبيرة بين اليهود المتشددين الذين يسمونهم «ارتودكس».. لم اجرؤ علي استخدام الكاميرا التي أحملها، وماهي إلا دقائق قليلة حتي بلغ الرعب مداه فوجدت نفسي أهرول خارجاً من ساحة حائط المبكي ، وفجأة ظهرت أمامي حسناء ترتدي ثياب الجيش الاسرائيلي التي تميل الي اللون الاخضر ، وتحمل في يدها رشاشا صغيراً، وفي جدية شديدة قالت لي بالعربية : توقف من فضلك .. تسمرت في مكاني ، فقد كان رعب مشهد الدقائق لا يزال يجتاحني ..

– ماذا تحمل في يدك ؟.

– كاميرا ..

– هل هي ملك لك ؟

– طبعاً..!

– من وين أنت ؟

– مصري ..

– ليش أنت موجود هنا ؟

– أنا في مهمة صحفية.

– افتح الكاميرا واضرب صورتين في اتجاه هذا الحائط.

– حاضر .. كده كويس.

– ابتسمت الحسناء – الضابطة – وانفرجت أساريرها وأنزلت الرشاش وقالت بدلال : عجبتك اسرائيل .؟!

– نظرت الي عينيها وقلت جداً .

ووسط هذا الزحام من المشاعر والمخاطر ، كانت تصلني ثلاثة أصوات من مصر عبر الهاتف تشجعني وتشد من أزري ، فقد استطاعت زوجتي ان تحتفظ كالعادة برباطة جأشها فتسألني بحذر عن أحوالي ونجاح مهمتي في كلمات واثقة وحميمة ، وكذلك كان الصديق العزيز الصحفي أحمد نور الدين يسأل عن أحوالي بذكاء دون أن يطلب تفاصيلا ربما تسبب لي احراجاً اذا ماكان الخط مراقباً وكدت اسمع عبر اسلاك الهاتف نبض قلب أحمد نور الدين يدعو لي بالتوفيق .. أما شقيقي سعيد فقد حاول أن ينقل لي أخباراً سعيدة عن أسرتي وعائلتي وكذلك عن أعمالي بالقاهرة ..

كانت لحظات الخوف الانساني في اسرائيل كثيرة .. كثيرة جداً وكانت رحلة اليوم الواحد الي غزة شديدة الرعب والقسوة علي النفس ، فبالاضافة للأحداث الملتهبة التي تصادف وقوعها يوم ذهابي

والاشتباكات الدامية بين القوات الاسرائيلية وعناصر حماس وحزب الله .. كانت هناك المشاعر القاسية بسبب التدهور البيئي الحاد الذي شاهدته في غزة اضافة الي الافتقاد الكامل للبنية الأساسية لهذه المدينة التي عانت كثيراً من ويلات الاحتلال فاصابتها شيخوخة مبكرة وإن بقيت آثار الأصالة العريقة تطل من خلال بعض منازل أعيان غزة.. فقد تناولت طعام الغداء في منزل الدكتور اكرم مطر ، والذي يطلقون عليه «البيت الأبيض» داخل هذا البيت الفسيح وفي حديقة الفناء قطع من الآثار الفلسطينية القديمة .. أما خارج البيت الأبيض الغزاوي بخطوات قليلة فحدث ولا حرج . مياه الصرف الصحي وأكوام القمامة والحيوانات النافقة والروائح الكريهة .. تدهور بيئي لا مثيل له .

كنت شغوفاً لرؤية الجولان ، وقد أبدي مرافقي دهشته من طلبي زيارتها .. لكنه استجاب أمام اصراري .. كنا وقتها في يافا وأمامنا عدة ساعات قبل أن نصل الجولان مروراً ببحيرة طبرية ، وقبل ان نصعد الي الهضبة المطلة علي البحيرة توقفنا عند مطعم شهير يديره عدد من اليهود من أصل عربي وهو متخصص في تقديم نوع واحد من السمك هو سمك (موسي) ، ورغم ازدحام المطعم الكبير عن آخره فقد حرص العاملون فيه – بعد أن عرفوا من مرافقي جنسيتي – علي الترحيب بي .. كانوا ينتهزون أي فرصة ليسألونني هل سيتحقق السلام بالفعل بعد اتفاق غزة – أريحا ؟ .

إن حجم السياحة في منطقة بحيرة طبرية كبير جداً لدرجة أن عشرات الفنادق التي أقيمت علي حافة البحيرة تكتظ بالسياح وحركة المطاعم والمحلات الكثيرة بالمدينة سريعة وحيوية للغاية أما الأسعار فهي نار .

بدأت رحلة الصعود الي الجولان ، وفي الطريق كنت أشاهد تجمعات (الكيبوتز) و (الموشاف) .. زراعات الموز والفواكه والخضروات تنتشر علي جانبي الطريق ، وكذلك بدت معدات استصلاح الآراضي تعمل في نشاط لتجهيز مزيد من الأراضي الزراعية.. الميكنة الزراعية تسود أسلوب الزراعة في كل المناطق التي رأيتها في الأراضي المحتلة خاصة في الجولان .

عندما وصلنا الي قمة الهضبة رأيت بوضوح المواقع السورية الحصينة التي احتلتها اسرائيل ولفت انتباهي بشدة أن كثيراً من هذه المواقع كان سليماوأمام احد هذه المواقع الحصينة التقطت أذناي كلمات أحد المرشدين السياحيين الاسرائيليين وهو يشرح لمجموعة من السياح :

من هنا كان يقذفنا السوريون بالمدافع والحجارة ، وكل شئ ، كانوا يملكون القمة ، وكنا نقبع في السفح ، واليوم يطالبوننا بالتخلي عن الجولان .. انهم مجانين ؟!! ..

طلبت من مرافقي أدمون أن أزور بعض المستوطنات الاسرائيلية

فوق الجولان فوافق علي الفور واخذت اطوف علي مستوطنة بعد الأخري :

« إن من يشاهد تجهيزات هذه المستوطنات لا يمكن أن يصدق أن الاسرائيليين قد شيدوها علي هذا النحو لكي يتركوها .. لقد اقاموا بداخلها كل وسائل الحياة العصرية وأدوات الترفيه بكل انواعها من مطاعم وملاعب وديسكو وغيرها .. أما التحصينات القريبة من المستوطنات فهي تعكس بوضوح مدي الخوف الذي يسيطر عليهم وأن (الأمن) هو الهاجس الأول والأخير بالنسبة للاسرائيليين » .

كانت الحدود الأردنية تبدو واضحة من فوق قمة هضبة الجولان وجزء من الأراضي اللبنانية ايضاً .. أما الأكثر وضوحاً فكان حجم المأساة .. فكيف استطاعت اسرائيل احتلال كل هذه الأراضي ؟! واغرقتني محاولة البحث عن اجابة لهذا السؤال في موجة من الحزن لم تدعني انتبه لمرافقي الذي حاول كسر ملل رحلة العودة ببعض الكلمات التي حفظها من الافلام المصرية التي تعرض في التلفزيون الاسرائيلي بعد ظهر كل يوم جمعة وتجتذب اليها كثيراً من الاسرائيليين .

كانت مهمتي شاقة ومثيرة في نفس الوقت .. فقد كنت حريصا علي رؤية ملامح الصورة من مختلف الزوايا ، وبهذا المنطق تعرفت علي مختلف التيارات السياسية وحجم التناقضات الكثيرة التي يموج

بها هذا المجتمع ، وكنت حريصاً ايضاً علي رصد نبض الرأي العام الفلسطيني والاسرائيلي وردود فعله تجاه السلام .

كان اهتمامي مكثفاً فى رصد أى اندماج ثقافى قد حدث بين العرب والاسرائيليين.. كانت مهمتي بطبيعتها شاقة خاصة مع ما يضاف اليها من مشاعر قوية ضاغطة علي أعصابي ووجداني ، ولعله لهذه الأسباب بدأت علي الفور في تسجيل كل لقاءاتي والتحقيقات الصحفية التي اجريتها في الارض المحتلة وذلك فور عودتي الي القاهرة مباشرة ، ونشر جانب كبير منها في جريدتي السياسة الكويتية والشرق القطرية .

واهتمت وكالات الأنباء العالمية والعربية بما نشر وكذلك العديد من الصحف المصرية وعدد غير قليل من الاذاعات الاجنبية .

لكني وبعد عام علي قيامي بهذه الزيارة الي اسرائيل اكتشفت أنني لم أقل كل شئ ، ولم اكتب كل الذي كنت اريد ان اكتبه ..

من هنا جاءت فكرة هذا الكتاب (الوثيقة) لكي أسجل فيه الذي لم تسمح الظروف بنشره ولم يتسع وقتي لتسجيله .. وكلى أمل أن يدرك القارئ العزيز وأن يتذكر أن أحداث هذا الكتاب كانت بعد الحدث الزلزال – اتفاق غزة – أريحا .. ولعله يدرك ايضاً ما قد يبدو من خلال سطور الكتاب من معاناة في تسجيل المشاعر والافكار .. فلم يكن هينا ولا سهلاً علي رجل مثلي ان يذهب الي اسرائيل !

وهكذا يمكنني تسميتها برحلة «**التحدي مع النفس**» ..

يبقي أن أسجل شكري وتقديري .. **للكاتب الكبير الاستاذ سعيد سنبل** .. ولتلبيته الكريمة لرغبتي الحميمة في ان يقدم للقراء الأعزاء هذا الكتاب..

محمد مصطفى

مارس ١٩٩٥م

عــودة إلــى الجذور

* الإسرائيليون فقدوا كبرياءهم وعنجهيتهم ويشعرون بأنهم يهود الماضى.

* ٦٥٪ من الإســـرائـيلـيين والفلسطينيين مـــا زالوا يتبادلون مشاعر عدم الثقة.

* المثـقـفـون الإســرائيليـون يتـــســتـــرون خلف جـــدار السـخـرية والتظاهر بعـدم المبالاة.



فــي كل رحلة أقوم بها أعمل بالمثل الإنجليزى الذى يقول: «إن المسافر يجب أن تكون له عينا صقر ليرى كل شيء.. وأن تكون له أذنا حمار ليسمع كل شيء.. وأن يكون له ظهر جمل ليتحمل أى شيء.. وأن تكون له ساقا معزة لا تتعبان من المشى»..

وإن كنت قد عملت على تطبيق هذا المثل فى كل رحلاتى الصحفية السابقة، فإننى فى هذه الرحلة كان علىّ أن أضع هذا المثل نصب عينى وأتخذه نبراساً أحتذى به فى كل خطوة منذ اللحظة الأولى التى صعدت فيها إلى سلم الطائرة، فالرحلة هذه المرة تختلف عن كل ما سبقها.

عندما قررت السفر إلى إسرائيل بعد توقيع اتفاق المبادىء الفلسطينى الإسرائيلى بأيام قليلة كانت هناك العديد من العلامات الاستفهامية التى فرضت نفسها على أعماق تفكيرى.. وتضاربت كلها فى رأسى.. من أين أبدأ؟ وكيف؟ وإلى أين سأصل؟ وغيرها وغيرها من أسئلة كبيرة.

وأنا في الطائرة عادت بى ذاكرتى إلى جذور القضية.. فلقد كان اتفاق المبادىء دافعى ومحركى الأول للقيام بهذه الرحلة .. بكل ما أثاره من عواصف على مستوى الوطن العربى والعالم أجمع، إلى الحد الذى شبه البعض فيه هذا الاتفاق بالزلزال الذى هز كل الأركان باعتباره حدثاً فريداً جاء نتيجة لأحداث سابقة ـ متنوعة متعددة ومتشابكة بكل خيوطها العنكبوتية التى شارك البعض فى نسجها واكتفى البعض الآخر بأن يلعب دور المتفرج.

وأجدنى أعود إلى ذاكرة القضية من بدايتها . منذ ما حدث فى الحربين الأولى والثانية من وقوف يهودى مخطط ومنظم مستهدف بجوار دول الحلفاء ـ وبريطانيا بالذات ـ تلك الوقفة التى لم تكسب اليهود خبرة ومهارة الحروب وتكنيكها وأسلحتها فقط.. ولكن أيضاً أسفرت ـ وهذا هو المهم ـ عن بلورة الكيان اليهودى ووضعت أولى الخطوات الرسمية الجادة فى بنائه، بداية من وعد وزير خارجية بريطانيا ـ بلفور عام ١٩١٧م ـ الذى أعطى «ما لا يملك لمن لا يستحق...»

والذى نجم عنه بعض ردود الأفعال الفلسطينية سواء من خلال الجمعيات الفلسطينية الإسلامية والمسيحية لبث الوعى الوطنى ضد الاستعمار، أو بأعمال المقاومة العنيفة والمظاهرات الضخمة ضد الإنجليز والمستوطنات اليهودية والتى وصلت لذروتها فى الاضطرابات العربية الكبرى، ومروراً بإعلان قيام اسرائيل واعتراف الأمم المتحدة بها عام ١٩٤٨م وما تلاه من سلسلة مضنية من الحروب العربية الإسرائيلية أعوام ٤٨ ـ ٥٦ ـ٦٧ـ ٧٣.. وما تخللها من مشروعات وافتراضات ،اتفاقيات وانتهاكات.. حتى مبادرة السادات للسلام عام ١٩٧٧م.. التى قلبت الموازين ووضعت القضية على مسار

جديد باتفاقية «كامب ديفيد».. وصولاً إلى اتفاق المبادىء الفلسطينى الإسرائيلى غزة ـ أريحا أولاً... وهكذا سرقت منى ذاكرة القضية وقت الرحلة.. وللحقيقة أقول أنه عندما اقتربت الطائرة من مطار تل أبيب .. كنت أسأل الله أن تعود مرة أخرى إلى القاهرة.. ولكن ما باليد حيلة الآن فكما يقول المثل المصرى «وقع الفاس فى الراس».. وبعد دقائق كانت الطائرة تهبط على أرض مطار «بن جوريون».

وبدأ مشوار **التحدى مع النفس** .. وكان على أن أخرج كل الأسئلة من إطار العلامات الاستفهامية إلى إجابات من فوق أرض الواقع، هذا الواقع الذى عشت وتعايشت معه طوال أكثر من أسبوعين يؤكد أن إسرائيل التى رأيتها تختلف كثيراً عن إسرائيل التى أعرفها من خلال كل هذا الكم الضخم من المعلومات التى تتوافر لكل من يعمل مثلى لسنوات طويلة فى بلاط صاحبة الجلالة ... إن ذاكرة القضية التى استرجعها وأنا فى الطائرة جعلتنا نبالغ فى تضخيم حجم الواقع الذى شاهدته ولمسته وعايشته .. خاصة وإننا كعرب عشنا سنوات طويلة منذ عام ١٩٤٨م مصرين بإرادتنا على أن تظل إسرائيل لغزاً غامضاً بالنسبة لنا.. لقد وضعت نصب عينى أن أغوص فى هذا المجتمع لأكشف هذا اللغز.

وجدت فى إسرائيل مجتمعاً يموج بالشكوى.. تسيطر على أفراده سرعة الانفعال والتقلب ويسودهم انقسام عميق فيما يتعلق بأولوياتهم السياسية والمادية والروحية... وجدت دولة يتسم مجتمعها بالعديد من المتناقضات والانقسامات بحيث يمكن أن نطلق عليه بركاناً للاختلافات نظراً لعدم تجانس مكوناته البشرية ونزعاته الدينية.

لقد قال لى أحد المثقفين الإسرائيليين الذين ولدوا فى إسرائيل: «إن إسرائيل لا تزال دولة يهودية فيما يتعلق بزعامتها إلا أنها أصبحت مجتمعاً ثنائى القومية فى حياتها اليومية» فقد كان اليهود يمثلون ٨٤ فى المائة من عدد السكان قبل عام ١٩٦٧م غير أن امتداد الإدارة الإسرائيلية إلى المناطق التى احتلت فى حرب الأيام الستة أضاف مليون شخص عربى إلى عدد السكان وهو ما يعد أكثر من ضعف عدد المهاجرين اليهود الذين تم استيعابهم خلال السنوات الثلاث الأولى لقيام دولة إسرائيل. وفى الوقت الحاضر يمثل السكان اليهود داخل أراضى إسرائيل ـ التى اتسعت بضم الأراضى العربية المحتلة تحت سيطرتها ـ ٦٥٪ فقط من سكانها، ويقدر بعض أخصائى التعداد بأن هذه النسبة ستصل إلى ٥٠٪ عند نهاية القرن إذا لم تنسحب إسرائيل من الأراضى المحتلة أو تستقبل أعداداً كبيرة من المهاجرين.

لأول مرة، لم يعد فى وسع الإسرائيليين اليهود أن يتمتعوا بالإجماع فيما يتعلق بهدفهم القومى والوسائل التى تكفل استمرار حياتهم الكريمة. فقد كانت هناك مجموعة من القيم الوطنية العلمانية بصفة أساسية ـ شارك فيها الكثيرون من يهود العالم ـ تسود المجال السياسى. وفى السبعينات من هذا القرن بدأ هذا الإجماع يتصدع وتركت الاختلافات الأيديولوجية أثرها فى أكثر مسائل الأمن القومى حساسية. ومع تزايد تكاليف متطلبات الأمن وتعقدها انخفضت الموارد المتبقية للبرامج الاجتماعية المحلية بشكل تناسبى مما أدى إلى ازدياد حدة المناقشات حول الأولويات.

وقد أصبح الاستقطاب والتناحر داخل المجتمع اليهودى، ناهيك عن التناحر بين اليهود والعرب ـ مصدراً للقلق. فالدولة لم يعد لها الطابع اليهودى

المحدد السمات، كما أن الاختلافات فى الخلفية الثقافية والطبقة الاقتصادية والأيديولوجية وإقامة الشعائر الدينية أصبحت تثير شقاقاً حاداً بشكل متزايد. فالإسرائيليون المعتدلون كانوا يعتبرون الحاخام المتعصب «مائير كاهانا» إنساناً «كريهاً» بسبب نشاطه الإرهابى البالغ التطرف ضد العرب، وبالرغم من ذلك فقد فاز بما يقرب من ٢٦٫٠٠٠ صوتاً فى انتخابات عام ١٩٨٤م وهى نسبة كفلت له الحصول على مقعد فى الكنيست، وحتى قيام الحكومة بحملة لاتخاذ إجراءات صارمة لفرض النظام عام ١٩٨٤م، كان القانون والنظام فى الضفة الغربية مهدداً ليس فقط من قبل العرب المتمردين ولكن أيضاً من قبل مجموعات صغيرة من المستوطنين المتعارفين الذين عقدوا العزم على أن يتولوا الأمور بأنفسهم كأعضاء فى لجنة أمن أهلية. متحدين قوات الأمن الإسرائيلى بل والحكومة نفسها فى واقع الأمر.

والواقع يؤكد أن التقاليد السياسية التى قامت عليها إسرائيل الحديثة تشكلت وتطورت إلى ثقافة سياسية جديدة نمت محلياً. وبدأ يزول مع مرور الأجيال ما كان يسمى بنمط (ميتل أوربا) أى القومية الديمقراطية الاجتماعية التى ظهرت فى ألمانيا. النمسا، المجر، بولندا وبال الروسية حيث تم لأول مرة تحديد شكل الدولة اليهودية المستقبلية ولم تعد إسرائيل مجتمعاً للمهاجرين، فمعظم الإسرائيليين اليوم من مواليد إسرائيل، كما لم تعد مجتمع رواد مستعداً لتحمل الصعاب فى سعيه لتحقيق مهمة مقدسة..والثقافة السائدة هى ثقافة بلد مزدهر يتقدم إلى الأمام تحيطه صعوبات اقتصادية حيث يكمن فى براعة تنظيمه للإنتاج الاقتصادى الذي يمثل مفتاح بقائه.

كذلك فأن من أكثر التناقضات التى يعيشها المجتمع الإسرائيلى التناقض الثقافى الواضح بين اليهود الشرقيين والغربيين من حيث التقاليد والالتزام الدينى والذى تسببت فيه الظروف البيئية للمجتمعات التى أتوا منها.. كما أن اتساع الفجوة بين الطرفين والذى يتضح فى ضعف الإمكانيات المادية لليهود الشرقيين فى الوقت الذى يعيش فيه اليهود الغربيين فى رفاهية فى ظل إمكانيات مادية قوية.. إن التقاليد الثقافية القديمة والفوارق الطبقية الحديثة بين اليهود (الاشكناز) الغربيين وبين (السفرديم) الشرقيين.. قد لعبت دوراً سياسياً ومهما فى الحياة السياسية الإسرائيلية وسببت انقساماً بدا فى صورة واضحة فى النزاع بين التيار العلمانى السائد فى صفوف الجماهير الإسرائيلية وبين الأقلية الدينية المحافظة والمتحمسة.

ويشعر الإسرائيليون فى قرارة أنفسهم بأنهم شعب ليس متجانساً من حيث الأصل - إن أكثر من نصفهم من سلالة آسيوية وأفريقية وهم يختلفون جوهرياً عن الأوروبيين.. ومن ثم نجد أن أحدهما فى وضع مادى واجتماعى مرض، والآخر يعانى من الفقر وسوء الأحوال.. اليهود الغربيون يعيشون حالة من الرضا الذاتى واليهود الشرقيون يعيشون حالة تذمر اجتماعى.. فالإحصائيات تؤكد أن حوالى ٨٠٪ من مجموع الذين يعتمدون على الخدمة الاجتماعية التى تقدمها الدولة هم يهود «شرقيون» كما يعيش ٣٠٪ من السكان فى المدن الرئيسية مثل «تل أبيب» و «القدس» و «حيفا» و٥٢٪ منهم فى المدن الأخرى، كما يعيش فى القرى ١٨٪ وتضم التقسيمات الريفية التى تقوم على المساواة أقل من ٥٪ من مجموع السكان.

ومـــن الحقائق التى يمكن أن تلمسها بسهولة من متابعة سريعة للمجتمع الإسرائيلى أن الإسرائيليين ليس بإمكانهم ـ نظراً للاختلافات الأيديولوچية التى تحكمهم ـ وليس باستطاعتهم الإجماع فيما يخص هدفهم القومى، نظراً للتناحر داخل المجتمع اليهودى ـ «اليهودى» و «اليهودى ـ العربى» كما أن للاختلافات الدينية اليهودية تأثيرها السلبى والذى يصل أحياناً إلى حد الإرهاب على النحو الذى تقوم به حركة «كاهانا» وبعض المتشددين الدينيين من تيارات مختلفة.

لكل هذه الأسباب وغيرها فإن التوجه داخل معظم التيارات السياسية الإسرائيلية هو العمل من أجل السلام مع الفلسطينيين ومع دول المواجهة العربية للخروج من هذه التناقضات وسد فوهة هذا البركان.

ولعل من المهم أن نشير إلى أن هناك تياراً قوياً داخل إسرائيل يحمل لواء الاعتماد على النفس فى إصلاح الاقتصاد الداخلى بعد أن بدت تحولات ذات مغزى فى المواقف الأمريكية عن دعم إسرائيل اقتصادياً بنفس معدلات الدعم فى السنوات السابقة ـ ويرى هذا الفريق من الخبراء أن تزايد التضخم بدأ يقضى على النمو الاقتصادى وأنه بدون استثمار حقيقى فعال فلن تكون هناك تنمية.. ومن ثم فإن أصحاب هذا الاتجاه يرون أنه لابد من الاستمرار فى السياسة التى انتهجتها إسرائيل منذ البداية والتى تتمثل فى السياسة التصديرية خاصة فى السلع التى تتميز بها إسرائيل مثل الماس المصقول وتصدير الزهور والملابس وهى السلع التى منحت الاقتصاد الإسرائيلى حيوية لسنوات طويلة.

ولأن العقلية الإسرائيلية تعتمد كثيراً على الإحصائيات وعلى عمليات قياس الرأى العام.. فإن هناك من يؤكد أن أكثر من ٦٥٪ من الإسرائيليين يعتقدون أن جيرانهم العرب لا يمكن الوثوق بهم وهى نفس النسبة التى تبدو فى الأوساط العربية بالنسبة للإسرائيليين وعلى الرغم من ذلك فلا يمكن تجاهل أن الشهور القليلة الماضية قد ساعدت على ظهور سيناريو جديد يمكن أن تستمر بعض مشاهده إلى الأجيال المقبلة حيث بدا أن الفلسطينيين والإسرائيليين قد تخطوا حواجزا نفسية كثيرة ساهمت ـ ولاشك ـ فى اتخاذ خطوات فاعلة نحو تعاون سياسى بين بعضهم البعض من خلال اتفاق السلام «غزة ـ أريحا».

وهكذا أجد نفسى أعود من حيث بدأت.. أعود إلى اتفاق «غزة ـ أريحا أولاً» الذى كان دافعى ومحركى الأول للقيام بهذه الرحلة.. كما كان محوراً مهماً وأساسياً فى كل حواراتى مع المسئولين على الجانبين العربى والإسرائيلى داخل إسرائيل.. وأيضاً فى كل استطلاعاتى من خلال تعايشى مع الشارع الإسرائيلى (بعربه ويهوده).

حقيقة أقول أن الصورة التى خرجت بها تبدو ملامحها فى الرغبة الأكيدة للمواطن الإسرائيلى فى إنهاء حالة الحرب مع جيرانه العرب..

ولكن ـ وآه من «لكن» هذه التى يرى فيها البعض تعبيراً يعكس ويقلب كل ما سبقها ـ الحقيقة أننى وجدت فى الشارع الإسرائيلى أن أغلبية واسعة من الإسرائيليين والفلسطينيين تؤيد اتفاق غزة ـ أريحا كديباجة للسلام والمصالحة بين الشعبين. ولكن هذا لا يمنع إحساس البعض منهم هنا وهناك

بالخوف من المجهول وهذه المشاعر تتجلى أحياناً من خلال تصرفات غريبة يسلكها الشباب الذين يشعرون بالتشوش والتيه نتيجة لهذه المصالحة التى نزلت عليهم كالصاعقة بدون تمهيد إعلامى أو نفسى سابق.

لقد اكتشفت من خلال عملية جس نبض لبعض الفئات الإسرائيلية بأن هؤلاء الناس يرفضون الاستسلام لخديعة أسلوب الخطب الرسمية ومظاهر البهجة وصور السعادة المصطنعة التى واكبت عملية التوقيع على اتفاق غزة ـ أريحا فى واشنطن. ويتبع تشككهم فى كل ما حدث من تخوفهم من المستقبل. فما الذى ينتظرهم بعدما يطأ عرفات الذى كان فى تونس بالأمس أرض أريحا والذى قد يصل ذات يوم إلى أعتاب القدس نفسها. تساءل بعضهم من منا بوسعه أن يصدق أن عرفات من المكن أن يتغير؟.

والحقيقة التى لا يمكن إغفالها والتى لمستها من خلال معايشتى ومحاولتى الغوص فى أعماق المجتمع الإسرائيلى هى أن إسرائيل فقدت بالفعل كل كبريائها وعنجهيتها. فهذا الشعب طالما عرفه الرئيس الفرنسى الراحل «ديجول» بأنه شعب الصفوة الواثق من نفسه والمسيطر. إهتزت ثقته فى قدراته تماماً.. مع كل يوم يمر يتراجع الإسرائيليون خطوة إلى أن تملكهم الإحساس بأنهم يهود الماضى.

ثم إن ما يحدث تحت أنظارهم يفوق بالفعل كل تصور. إن المطلوب منهم يفوق قدراتهم ففى أقل من أسبوعين وجدوا أنفسهم مطالبين بتقبل فكرة تحول منظمة التحرير الفلسطينية من عصابة من السفاحين ـ كما كانوا يسمونها دائماً ـ إلى أقوى حليف لهم ضد التطرف وبأن احتلال الأراضى لم يعد هو

الشرط الأوحد لضمان الأمن والأمان بل على العكس من هذا التنازل عن هذه الأراضى هو الشرط الضرورى «ما بين يوم وليلة» الذى سيكفل لهم هذا الأمن.

أحد الصحفيين الأوروبيين الذين التقيت بهم فى تل أبيب علق قائلاً: «إن هذه التحولات السريعة طيرت عقول الشباب الإسرائيلى..» وآخر صيحة تبناها المثقفون فى «تل أبيب» التظاهر باللامبالاة التامة إزاء ما يجرى. فأصبح من الذوق الهابط أن يتطرق المثقفون بالحديث عن هذا فى مجالسهم الأدبية فى المقاهى المخصصة لهذا الغرض وأصبح شغلهم الشاغل هو الحديث عن آخر معرض أو آخر فيلم عرض أو آخر حلقة من أتفه مسلسل.. إن أخبار الإثارة هى التى أصبحت تستحوذ على اهتمام الأدباء والفنانين وأحياناً تصلهم مكالمات هاتفية من أصدقائهم فى نيويورك لسؤالهم عن رأيهم فى الأحداث الأخيرة؟.. فيستفسرون من السائل :

– ماذا تقصد ؟

– السلام بالتأكيد.

– اعذرنى إننى لم أطالع الصحف فى الأيام الأخيرة.

– هل تابعت مراسم الاتفاقية فى التليفزيون؟

– آسف فاتتنى مشاهدتها لأننى فى نفس الوقت كنت أتابع مسلسلى المفضل على قناة أخرى.

وأحياناً تسمعهم يقترحون أن يبيعوا لعرفات ليس فقط القدس الشرقية بل أيضاً الجزء اليهودى منها «أى الجمل بما حمل» بما فيه الطبقة السياسية الحاكمة والكنيست وخصوصاً المتشددين. خلاصة القول أنهم يتسترون خلف

جدار السخرية والنكات الهزلية ليحموا أنفسهم من هذا العالم الذى أصبح لغزاً محيراً فى عيونهم.

ويرى جانب كبير من الساسة الإسرائيليين أنصار السلام الذين التقيت بهم ـ وهم كثيرون ـ أن السلوك طبيعى ومتوقع لأنه سيلزم مرور فترة من الزمن حتى يستوعب الناس معنى ما حدث.. فى البداية كانت نسبة المؤيدين تصل إلى ٤٠٪ أما اليوم فهى تزيد على ٦٠٪ ونفس الطفرة حاصلة لدى العرب... قال لى أحد هؤلاء الساسةالاسرائيليين :

«لقد كنا جميعاً متأكدين أننا لن نعايش السلام أبداً فى حياتنا ولكن المعجزة حصلت فنزلت علينا كالصاعقة لدرجة أننا نتساءل أحياناً عما إذا كنا نعايش ما يحدث من الدنيا أو من العالم الآخر، ولاشك أن الجميع مشوش الفكر ولكن كل هذا سيمضى وسيطويه النسيان.

وقال آخر أكثر تحفظاً: «إن السلام هو المرادف للانفتاح ولفتح الطرق المؤدية من القاهرة إلى دمشق عبر تل أبيب ولكن هذا ليس معناه أننا سنعيش فى نعيم..إن الناس سيستمرون فى التطاحن بشكل أو بآخر»..إن ما يتعين أن يفهمه اليهود هو أن لا رابين ولا بيريز جازفا بأمن بلادهم،حقيقى أن هناك عدة مقامرات سياسية جسيمة لكنها لا تشكل أدنى خطورة على أمن البلاد

ووفقاً لهذا المنظور سيظل جيش إسرائيل دائماً وأبداً أقوى من جيرانه، لكن المسيرة ستتم خطوة خطوة، ويبتسم وهو ينهى كلامه قائلاً: انتظروا وسترون بأنفسكم أن المتاعب هى التى على الأبواب ولكن المهم أن الحرب انتهت ... **فهل انتهت الحرب حقيقة؟!**

قبل أن أتعرض للإجابة عن هذا السؤال من خلال رحلة غوص فى عقول مجموعة من المسئولين الإسرائيليين والفلسطينيين الذين التقيت بهم فى إسرائيل والتى سأتناولها فى فصول قادمة من هذا الكتاب.. لابد وأن أشير إلى مقتطفات مما سمعته من بعض الأوروبيين الذين تحدثت معهم فى إسرائيل.. لقد أجمعت آراؤهم على أن سلام الثالث عشر من سبتمبر ١٩٩٣م لن يكون قطعياً ونهائياً.

صحفى إيطالى يقول: « أنه ينبغى على منظمة التحرير أن تضع الأصوليين المتطرفين تحت السيطرة. الأمر الذى ينطوى على مخاطرة نشوب حرب أهلية.

يقول جوزيف الضر وهو مسئول سابق فى الموساد ويعمل الآن فى إحدى المؤسسات الفكرية فى جامعة «تل أبيب» إننى أخشى من أن الأمور ستتحول إلى حالة من الفوضى فهل سيكون البوليس الجديد على استعداد لقمع الفلسطينيين الذين يهاجمون الإسرائيليين؟!.. ذلك هو ـ كما يقول الضر ـ الاختبار الرئيسى لبناء الديموقراطية.

سيكون على منظمة التحرير قمع الأحزاب الأصولية فى الوقت الذى تخطط فيه كما هو مفترض لإجراء انتخابات حرة وليس لدى زعامة منظمة التحرير فى المنفى أية خبرة بالانتخابات ولقد حاول الإسرائيليون ـ حتى فى فترة مؤخرة ـ سحق عملية تطور أية زعامة حقيقية مستقلة فى الأراضى المحتلة.

السلام الحائر في عيون الصقور والحمائم

* وايزمان :
« في السلام كما في الحرب لابد أن تكون مستعداً للمخاطرة».

* «الصقور هم أمهر القادة في الحرب والسلام».

* بن اليسار :
«أرفض إضافة أية دولة عربية جديدة للمنطقة».

وتتواصل « رحلة التحدى مع النفس » فى قلب هذا المجتمع الملىء بالمتناقضات والانقسامات فيما يتعلق بأولوياتهم السياسية والمادية والروحية.. ووسط مثل هذا المجتمع يحتار الإنسان ويتوه وهو يحاول أن يستكشف الحقائق ولكن كان لابد أن أصل إلى القدر الأكبر من كل هذه الحقائق التى جئت أبحث عنها حتى أصل إلى الإجابة عن الأسئلة الكبيرة التى فرضت نفسها منذ أن قررت القيام بـ« رحلة التحدى مع النفس ».. وكان منها : هل أصبحت فلسطين دولة على طريق التكوين؟

* * *

وهــل يعنى هذا الاتفاق أن الصراع العربى الاسرائيلى ذهب بلا رجعة.. وأنه قد بدأت خطوة فى طريق الألف ميل نحو السلام الشامل فى المنطقة؟

هذه هى الأسئلة التى تطرح نفسها منذ التوقيع على وثائق إعلان المبادىء بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل والإجابة على هذه الأسئلة وغيرها ليست سهلة لأن المعادلة صعبة ومعقدة. وتاريخ الصراع طويل والقضية شائكة احتلت فصولها الجانب الأكبر من سنوات القرن العشرين.. ولكن الواقع الذى لا يمكن إنكاره والذى اتفقت عليه جميع الآراء أن الاتفاق الإسرائيلى الفلسطينى يعد نقطة تحول هائلة وخطيرة فى سباق الصراع الفلسطينى الإسرائيلى ومن ثم العربى الإسرائيلى.. ولم يسبق أن تصاعدت التداعيات الناجمة عن أحد التطورات الخاصة بعملية السلام بين الدول العربية وإسرائيل مثلما تصاعدت التداعيات عن هذا الاتفاق وذلك منذ إعلان الرئيس الراحل أنور السادات عن اعتزامه زيارة القدس فى نوفمبر ١٩٧٧م.. وأن الواقع المقابل أيضاً أنه لا يمكن لأى إنجاز حقيقى كبير أن يتحقق قفزاً فوق كل الموانع والمعوقات.. وصولاً إلى الهدف الاستراتيچى.. فعلى الصعيد التاريخى يمكننى القول بأن الاتفاق الاسرائيلى الفلسطينى هو أول اتفاق من نوعه يتم التوصل إليه بشكل مباشر بين الأطراف الفاعلة على مستوى الوطن الفلسطينى ودولة إسرائيل.

فلم تكن إسرائيل تقبل بأقل من شطب منظمة التحرير الفلسطينية من الوجود.. ولم تكن المنظمة تقبل فى البداية بأقل من إزالة الكيان الإسرائيلى.. وفجأة بدا أن خيار الإلغاء هو مجرد إرث ثقيل من لغة قديمة موروثة عن عالم قديم انتهى... إنه الانقلاب الكبير الذى أدخل الصراع العربى الإسرائيلى فى مرحلة مغايرة تماماً فى تاريخه.. ولكن ما هى انعكاسات هذا الانقلاب

الكبير؟! هل سيؤدى إلى تغيير الصورة السياسية للشرق الأوسط فى العيون.. وهل كل جدران الكراهية هدمها هذا الحدث الزلزال؟!.. ثم هل هو بالفعل الخطوة الأولى فى مشوار الألف ميل نحو السلام الشامل فى المنطقة؟!

* * *

كان على رأس قائمة الشخصيات الإسرائيلية التى حرصت على لقائها «عزرا وايزمن» رئيس الدولة وأحد الصقور التقليديين فى إسرائيل والذين تحولوا إلى أشهر الحمائم الذين ساهموا فى صنع السلام بين مصر وإسرائيل.. والذى لا يزال يساهم فى دعم مسيرة السلام بين إسرائيل والأطراف العربية الأخرى.

كل الذين فاتحتهم برغبتى فى لقاء «وايزمن» اعتذروا فى اللحظة الأولى رجال المراسم في وزارة الخارجية الإسرائيلية وكذلك الصديق السفير محمد بسيونى - سفير مصر فى تل أبيب وغيرهم.. الجميع أكدوا أنه يحذر على رئيس الدولة التحدث فى الشئون السياسية وأن الدستور قد حدد له مهاماً معظمها بروتوكولى. بل إن بعض أصدقائى من الشخصيات الفلسطينية قالوا لي صراحة «لا تضيع وقتك فى هذه المحاولة بلا جدوى، فالصحفيون نادراً ما يدخلون إلى مقر رئيس الدولة سواء كانوا أجانب أو إسرائيلين».. أعترف أننى من النوع الذى لا يستسلم ولا يمل من تكرار المحاولة فى صبر عميق ودأب، وفى إسرائيل كان لابد وأن أتشبث بمثل هذه الخصائص.

أخذت أتساءل عن الشخصيات التى يمكن أن تؤثر على وايزمن فيقبل إجراء حديث صحفى معى، وأخيراً أخبرونى أنه صديق لرجل الأعمال الشهير

«يعقوب نمرودى». صاحب جريدة «معاريف» وصاحب امبراطورية كبيرة.. كبيرة جداً فى مجالات عديدة سيأتى الوقت للحديث عنها.. وتصادف أن يعقوب نمرودى يمتلك شركة السياحة التى نظمت لى الرحلة وعندما علم أننى صحفى مصرى يمثل جريدة كويتية طلب أن يرانى فى قصره الرائع (البيت الأبيض) فى إحدى الضواحى الراقية بتل أبيب فانتهزتها فرصة لأفاتحه فى رغبتى لقاء «عزرا وايزمن».. استقبلنى نمرودى بحفاوة بالغة وأطلق عدداً من النكات والنوادر والحكايات وشجعتنى بساطته وخفة دمه لأسأله عن عدد من القضايا الهامة التى كان بطلها.. فضيحة إيران جيت ودوره البارز فيها.. تهريب الفلاشا إلى إسرائيل، وقد لعب فيها دوراً رئيسياً. وكذلك دوره فى استقطاب مئات بل آلاف من يهود الاتحاد السوفييتى ونقلهم على طائراته.. ودوره الخطير أيام كان ملحقاً عسكرياً لإسرائيل فى إيران.. ثم دوره الحالى الذى يلعبه فى مرحلة السلام.. واكتشفت خلال الساعات السبع التى قضيتها مع يعقوب نمرودى فى حديقة قصره الغناء أن هذا الرجل مخزن أسرار.. حكى لى الكثير عن علاقاته مع شخصيات عربية مرموقة وزياراته السرية والعلنية لأقطار عربية عديدة و«البزنس» الذى كانت شخصيات عربية مرموقة ـ مرموقة جداً ـ طرفاً فيه ولا تزال .. شرح لى بالتفصيل بالوثائق والصور بل وشرائط الڤيديو قصة الحجاج الليبيين الذين زاروا القدس وصلّوا بالمسجد الأقصى وكيف كان مقرراً أن تستمر هذه الرحلات ولماذا توقفت، وهذه حكاية أخرى.. ظللت أستمع بدهشة كبيرة ليعقوب نمرودى الذى أخذ يرجونى عدم كتابة هذه الأسرار.. تلك الأسرار التى تحتاج لإعداد كتاب خاص عنها وسيحدث هذا

إن طال بى العمر.. إنتهزت فرصة الحالة النفسية التى كان عليها نمرودى وهو يروى حكاياته وأسراره الشيقة وانطلاقته الكبيرة واستحسانه للأسئلة التى كنت أطرحها عليه فقلت له:

«يعقوب..هل يمكنك تقديم خدمة لى؟» بالمناسبة فى إسرائيل لا يستخدمون الألقاب بمختلف أنواعها وأشكالها..المهم قال يعقوب : «بكل سرور إذا كانت باستطاعتى» ... قلت: :«أريد أن أجرى لقاءً صحفياً مع عزرا وايزمن..قال وهو ينظر فى عينى بتركيز شديد.. ولكن وايزمن ممنوع أن يجرى أحاديثاً صحفية..قلت هو ليس حديثاً عادياً..إنه حديث عن السادات ..أمسك بسماعة التليفون..وراح يصيح ضاحكاً ..وايزمن ..ثم بدأ يتحدث بالعبرية.

واستطعت أن ألتقط بعض الكلمات، فاللغة العبرية تشترك مع العربية فى كثير من الكلمات المتشابهة: محمد.. صحفى.. عربى.. مصرى.. كويتى.. السادات.. ثم همس لى قائلاً: «هل تستطيع أن تذهب إلى عزرا الآن بالقدس؟» قلت طبعاً.. أنهى المكالمة وقال لى: «استعد.. سأذهب معك لنقابل وايزمن فوراً.. على فكرة إنت حظك كويس.. هو وافق على اللقاء من أجل السادات ومن أجلى.. هيا بنا».

انطلقت بنا سيارة يعقوب نمرودى من تل أبيب إلى القدس بسرعة فائقة.. لم ينقطع يعقوب طوال الطريق عن الحديث فى التليفون، فالصفقات على ما يبدو لا تغادر هذا الرجل أو يغادرها.. بعد أقل من ساعة قضيتها فى شرود كامل وكأننى أشاهد فيلماً سينمائياً من أفلام الخيال العلمى الذى تذهب بك لعوالم أخرى.. فجأة توقف يعقوب عن محادثاته التليفونية لنجد

أنفسنا أمام بوابة حديدية على ربوة ويبدو مبنى مكسو بالحجر وكلمات عبرية نطق بها نمرودى فتحت الأبواب سريعاً وبعد عدة ممرات قصيرة فتح باب لتلتقى بنا سكرتيرة «عزرا وايزمن» التى رحبت بنا وأبلغتنا أن الرئيس بانتظارنا. وكانت هذه هى المرة الأولى التى أسمع فيها لقباً رسمياً..

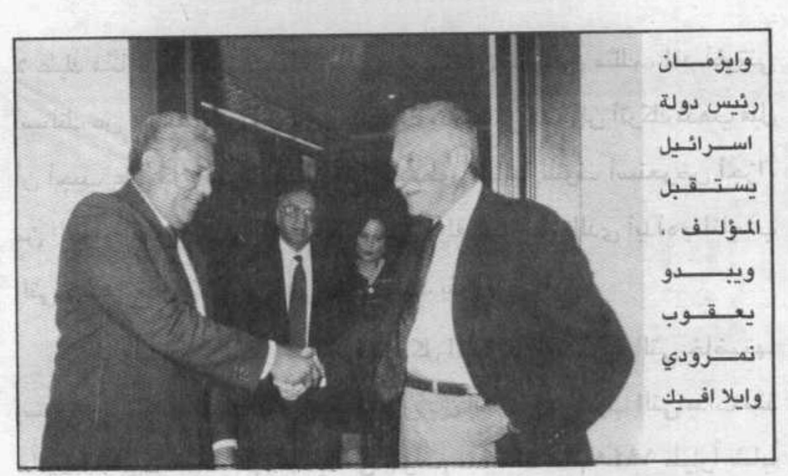
– قالت لى السكرتيرة فى ود..حضرتك كويتى؟..

– قلت «لا.. مصرى أعمل فى جريدة كويتية»..

– سألتها قائلاً: «على فكرة.. شكلك عربى»

– قالت: «نعم.. أنا لبنانية».. ثم وصلت السيدة «إيلا افيك» من القسم العربى بوزارة الخارجية والتى صحبتنى فى عدة لقاءات سابقة مع عدد من المسئولين.. همست فى أذنى وهى تحاول التحدث بالعامية المصرية «برافو عليك.. إزاى حصلت على الموعد ده» ثم أردفت: «أرجوك لا تحرج الرجل فى أسئلة سياسية»..قلت باقتضاب: «ربنا يسهل»..ثم فتح الباب لأجد رئيس دولة إسرائيل وقد وقف عند الباب يستقبلنا..إحتضن يعقوب نمرودى وصافحنى بود وكذلك «إيلا افيك» بينما وقفت سكرتيرته تسأله عن الوقت فقلت: «ياريت ساعتين».. ضحك وايزمن وقال لسكرتيرته: «نصف ساعة».. ولم أعلق.

بدأ «عزرا وايزمن» حديثه بتذكيرى بأنه لا يتحدث فى السياسة فقلت له: «من غير المعقول أن أكون هنا ولا أسألك عن الحرب والسلام.. عن الصقور والحمائم.. عن صديقك الراحل أنور السادات.. لقد كنت موجوداً مع السيدة چيهان السادات منذ عدة أسابيع عندما تحدثت إليها تليفونياً تعزيها فى ذكرى استشهاد زوجها الراحل.. يومها قالت لك إن لدى صحفى يحدثنى عن



وايزمــــان رئيس دولة اســرائيل يستــقبل المؤلــف ، وييــدو يعــقــوب نمــرودي وايلا افــيك

الرئيس السادات رحمه الله وسوف يزور إسرائيل قريباً ويريد أن يلتقى بك فوافقت».. ابتسم رئيس دولة اسرائيل وقال: «رحم الله السادات فقد كان رجلاً عظيماً.. حقق لوطنه ولأمته وللإنسانية جمعاء الكثير.. تفضل هات ما عندك».

قلت وأنا أحاول أن أخلى الساحة لحديث مهم مع رجل مهم: «سيادة الرئيس.. إن الجنرالات الذين أراهم أمامى يحبسون الأسئلة فى حلقى (كان يجلس بالمكتب ثلاثة عسكريين)».. ترجم لهم نمرودى ما أقول فضحك الجميع بصوت عال وقام الثلاثة منصرفين على الفور. وفرغت الساحة ودار شريط كاسيت وبدأ واحد من الأحاديث التى تناقلتها معظم إذاعات العالم ووكالات الأنباء والكثير جداً من الصحف.. وأذكر أنه عندما كانت تدخل سكرتيرة وايزمن الحسناء لتذكرنا بأن الوقت المخصص قد تجاوزناه بكثير كان الرجل يشير إليها بيده بأنه مستمر فى الحديث بينما أقول له «لم يتبق سوى سؤالين فقط» ليبتسم وايزمن قائلاً: «منذ أكثر من ساعتين وأنت تقول باقى سؤالين..

لا عليك فأنا لدى خبرة فى التعامل مع صحافيين طموحين مثلك.. لقد أغرتنى أسئلتك عن صديقى الراحل أنور السادات وذكرياتى معه ولن أتركك تذهب قبل أن أجيب على كل أسئلتك»... وخلال السطور التالية سوف أستعرض أجزاءً من الحوار الطويل الذى أجريته مع رئيس دولة إسرائيل والذى أبدأه بالمناصب التى تولاها «عزرا وايزمن» فى بلاده حيث يقول:

أنا واحد من الذين شاركوا فى كل المعارك العسكرية التي خاضتها إسرائيل.. خلال سلسلة الصراع الدموى بين إسرائيل والعرب التى بدأت منذ عام ١٩٤٨م ـ لقد شغلت العديد من المواقع فقد كنت عام ١٩٤٨ طياراً شاباً أقود طائرة مقاتلة.. وفى عام ١٩٥٦ كنت أتولى قيادة قاعدة جوية خلال الحملة على سيناء.. وفى الفترة من عام ١٩٥٦ وحتى عام ١٩٦٧ شغلت منصب قائد سلاح الجو الإسرائيلى.. وعندما وقعت حرب الأيام الستة كنت قائداً لقوات الدفاع الإسرائيلية بمقر القيادة العامة للجيش.. وفى عام ١٩٧٣ وخلال حرب أكتوبر التي حققت خلالها مصر انتصاراً عسكرياً كبيراً.. كنت أعمل مستشاراً لرئيس أركان جيش الدفاع الإسرائيلى.. وصمت وايزمن لحظات قصيرة ثم بدت ابتسامته واسعة وهو يقول: هل لاحظت مثلى أن الذين يحملون لقب «الرئيس» فى أكبر دول الصراع العربى الإسرائيلى.. وأعنى مصر وسوريا وإسرائيل.. هم من الطيارين.. الرئيس مبارك والرئيس الأسد وأنا.. كلنا من نسور الجو.. لعلك تلاحظ أيضاً أن نسور الجو هم أكثر الناس رغبة فى السلام وأكثرهم حرصاً عليه.. إنهم يتحملون الكثير من أجله ولا يزالون يبذلون جهداً كبيراً من أجل السلام.

قلت له معنى هذا أنك شخصياً ضد الحرب وتكرهها.. رغم مواقعك العديدة فى الجيش.. ورغم أنك خضت جميع الحروب التى كانت بين العرب وإسرائيل؟

فأكد أنه وكل الإسرائيليين يكرهون الحرب وقال: لقد عانيت شخصياً من ويلات الحروب ذلك أن ابنى «شاؤول» الذى كان يخدم فى جيش الدفاع الإسرائيلى على الجبهة المصرية قد أصيب وظل يعانى من هذا حتى مات بعد خمس سنوات، كما أن ابنتى أيضاً قد خدمت فى جيش الدفاع.. فى السلاح الجوى .. وكانت زوجة لطيار مقاتل .. بل أننى أستطيع أن أقول لك إن كل شخص فى إسرائيل عانى من نتائج الحروب بيننا وبين العرب .. من النادر أن تجد بيتاً فى إسرائيل لم يعان أصحابه من أوجاع وآلام فقد عزيز أو حجز صديق أو قريب..

بمناسبة الحديث عن الحرب كان لابد وأن تفرض حرب أكتوبر ١٩٧٣م نفسها علي الحديث خاصة وان عايزرا وايزمان كان وقتها قائداً لسلاح الجو الاسرائيلي .. وأسأله عن رأيه في مقولة أنه لو لم تكن حرب أكتوبر لما كان السلام .. فقال :

« من وجهة نظري انه كان بالامكان تحقيق السلام بدون حرب.. لكن الرئيس السادات كان يري ضرورة قيام هذه الحرب حتي يستعيد الكرامة للجيش المصري .. وكان بالطبع يريد استعادة هذه الكرامة بقوته الذاتية .. بجنوده وضباطه وبدون أية مساعدة من الروس .. والحقيقة ان حرب اكتوبر كانت بكل المقاييس مفاجأة نجح الرئيس السادات في الاحتفاظ بسرها حتي

آخر لحظة .. كانت مفاجأة من جميع النواحي .. والحقيقة أيضاً أن حرب أكتوبر قد أعادت بالفعل للجيش المصري كرامته .. وفي نفس الوقت أستطيع أن أقول أنها ساهمت بلا شك في تحريك القضية .. ومن ثم التوصل الي حل سلمي للنزاع العربي الاسرائيلي الذي طالت سنواته كثيراً ..»

ويضيف وايزمان قائلاً : « إنني أتذكر المرة الأولي التي التقيت فيها بالرئيس السادات .. فعندما مددت يدي أصافحه قلت له .. قبل أن نبدأ حديثنا .. لابد أن أقول لك انني كمحترف أهنئك علي حرب أكتوبر .. أهنئك علي المفاجأة التي استطعت أن تحققها ببراعة .. أهنئك أيضاً علي أسلوبك في الحرب .. والحقيقة أنني قلت هذا للسادات رغم أنه لم يكن هناك ما يدعونني للتعبير عن إعجابي بالحرب .. لقد كانت حرب اكتوبر هي المناسبة التي استطاعت ان تثبت مواهب الرئيس السادات العديدة .. فقد أثبتت هذه الحرب حكمته واستراتيجيته .. وقدرته كرجل دولة ..

كما كان نجاح السادات علي الصعيد السياسي نجاحاً منقطع النظير.. ذلك انه قام بتحذير العالم من الأخطار الكبيرة التي يمكن ان تسببها الحرب.. وخاصة انه أشار الي حالة عدم الاستقرار القائمة والموجودة في الشرق الأوسط .. وإذا كان السادات قد سبب لي شخصياً الاضطراب والقلق اثناء الحرب بعد ان نجح في مفاجأتنا جميعاً بالعبور .. فإنني اعترف ايضا انه سبب لي الاضطراب والقلق حتي بعد انتهاء الحرب.. عندما استطاع الامساك بالمبادرة – مبادرة السلام – كورقة مهمة بين أصابعه ..

لقد قام السادات بحصارنا بعد أن نجح في إقناع الأميركان بأنه لا

يمكن التغلب علي اسرائيل اذا استمر تأييد واشنطن لها .. والغريب انه كان يلعب علي المكشوف معنا .. ففي احدي خطبه أعلن علي العالم كله انه سيعبر قناة السويس .. حتي لو وصلت الخسائر والتضحيات الي مليون جندي ..

أكثر من هذا فقد أعلن علي الملأ عن اعتزامه تفتيت الصلة بين اسرائيل والولايات المتحدة.. لقد قال بالحرف الواحد انه سيزرع «أسفين» بين اسرائيل والولايات المتحدة.. وطبعاً لم نصدقه.. أو علي الأقل لم نأخذ كلامه محمل الجد.. لكنه نجح في تحقيق ما قاله.. نجح في عبور قناة السويس.. ونجح في زرع أسفين بيننا وبين الولايات المتحدة.. وهو ما ساهم بشكل فعال في تدهور موقفنا السياسي من سئ الي أسوأ.. أضف الي هذا كله نجاحه في إخراج الخبراء الروس من مصر.. فقد ساهم هذا القرار بالتحديد في اقتراب الغرب علي وجه العموم والولايات المتحدة علي وجه الخصوص من مصر.. وفي نفس الوقت تسبب هذا القرار في تخفيف اندفاع الغرب تجاه اسرائيل.. بصراحة كان السادات يبدو وكأنه لاعب ورق محترف اعتاد أن يستبقي الورقة الرابحة في يديه ..

بهذا القدر من الاعجاب فتح عايزرا وايزمان ملف الرئيس الراحل أنور السادات .. وواصل كلامه قائلاً :

لابد أن أذكر أن معظم المعلومات التي أمدتنا بها المخابرات الاسرائيلية عن الرئيس السادات كانت معلومات خاطئة.. ذلك أنني وبعد ان اقتربت منه تأكد لي انه كان رجلاً ذكياً بكل المقاييس.. وكان وطنياً الي أبعد الحدود.. يحب بلده ويسعي من أجل صالحها.. كان السادات في الواقع رجلاً

واقعياً بعيد النظر.. ويكفي أنه لم يستبعد اقامة علاقات دبلوماسية مع اسرائيل.. وكان جريئا في اتخاذ قرارته.. وهل يمكن ان يصدق أحد ان رجلا يوشك علي القيام بحرب وقبل الحرب يطلب من الخبراء الروس أن يغادروا مصر خلال أسبوعين فقط.. إن هذا القرار بالتحديد كان محل افتخار الرئيس السادات وبدا كما لو كان محفوراً في ذاكرته.. وكان يعتبره من أشرف وأهم وأشجع المواقف التي اتخذها في حياته.. وكان علي حق في كل هذه المشاعر.. فقد أتاح له هذا القرار مفاجأة جيش اسرائيل في حرب اكتوبر.. لقد ظننت وظننا جميعاً ان رحيل الروس قد أضعف القدرة العسكرية المصرية الي حد العجز تماما عن عبور قناة السويس .. لقد كنا غير مصدقين انه ينوي الحرب وعبور القناة والروس موجودين في مصر .. فهل يمكن ان نصدق انه جاد في الحرب بعد خروج الروس من مصر ؟!..

– هل كان السادات من وجهة نظرك رجل سلام أم رجل حرب ؟..

– قال وايزمان : السادات كان جاداً في رغبته إقامة سلام حقيقي .. نحن الذين لم نصدقه في البداية .. العالم ايضاً لم يصدقه .. وقد ظل يبحث عن طريق الحرب لحل المشكلة.. لكنه لم يجد هذا الطريق.. وفي نفس الوقت كان يريد بأية طريقة ان يكسر الجمود القائم .. ولم يجد سبيلاً لذلك سوي الحرب.. وقد أثبتت الايام والحوادث ان انور السادات كان رجلا سياسياً ممتازاً.. رجلاً سياسياً من الدرجة الأولي .. يتمتع بالقوة السياسية والقدرة علي المناورة والاستمرار بثبات نحو تحقيق أهدافه.. ويكفي انه واصل طريقه رغم رفض السياسيين الذين حوله لمواقفه.. والذين استقالوا من مناصبهم ..

أمثال اسماعيل فهمي ، ومحمد ابراهيم كامل وغيرهما ..

لقد كانت وجهة نظر الرئيس السادات أن الحرب والسلام في يد مصر.. وكان متأكداً أن العرب في النهاية سيتجهون للسلام .. وهو ماأثبتته الأيام .. والحقيقة أنني أتمني فعلاً أن يحذوا كل الرؤساء العرب حذو السادات .. فهكذا يتحقق السلام.. ليتنا نري الرئيس الاسد قريباً في اسرائيل سعياً من أجل السلام .. ان الرجل لم يأت الي اسرائيل طلباً لسلام منفرد ولكنه جاء لكسر حاجز منذ سنوات طويلة ظل ينمو علي مدي هذه السنوات.. وقد نجح السادات تماماً في كسر هذا الحاجز وإسقاطه .. تماماً كما سقط بعد ذلك حائط برلين.. وبهذا نجح السادات في تهيئة المناخ لبداية مرحلة جديدة بين العرب واسرائيل .. لقد كانت المشكلة الحقيقية عند اليهود بصفة عامة والاسرائيليين بصفة خاصة .. هي عدم الاحساس بالأمن والأمان.. ولا يجب ان ننسي أبداً انه لم تكن هناك أى جسور للتفاهم مع العرب .. لم يكن هناك أحد نستطيع ان نتفاهم معه ونبني معه جسراً من الثقة .. كانت مشكلة الشعب الاسرائيلي انه فعلا يعيش في خطر .. وانه محاصر من جميع الجوانب الأردن من ناحية.. وسوريا من ناحية ولبنان من ناحية أخري .. ومصر من ناحية .. وكان أهم ما نجح فيه السادات هو إزالة هذا الشعور ..

من فوق جسور الثقة التي شيدها الرئيس الراحل أنور السادات والتي فتحت طريق السلام أعود مع عايزرا وايزمان الي الحديث عن حجر الأساس في هذه الجسور .. وعندما طلبت منه إعادة شريط ذكرياته عن يوم إعلان الرئيس السادات عن زيارته للقدس قال :

يالها من أيام .. أنت بسؤالك هذا تعيدني الي الوراء كثيراً .. الي التاسع من نوفمبر عام ١٩٧٧م .. عندما كنت استمع الي خطاب السادات الذي تحدث فيه عن الطريق المسدود الذي وصل اليه مؤتمر جنيف .. في هذا الخطاب وقبل نهايته بقليل أعلن السادات أنه علي استعداد للذهاب الي القدس ومواجهة أعضاء الكنيست في اسرائيل ..بالطبع لم أصدق كلمة واحدة من هذا الكلام وتصورت انها مجرد زلة لسان .. لكن المفاجأة الحقيقية بالنسبة لي كانت رد رئيس الوزراء بيجين الذي أعلن هو الآخر انه يقبل هذا التحدي..

وحتي هذا الكلام لم آخذه علي محمل الجد .. تصورته مناورة من بيجين يعيد فيها الكرة لملعب المصريين.. وكان هذا بالطبع مبعث اعجابي ببيجين رغم إنني أعرف انه من الصقور اليمينيين المتشددين.. وجاءت تقارير المخابرات الاسرائيلية تؤكد ان السادات جاد في كلامه!..

وتوالت الأحداث بسرعة ودب النشاط في أروقة الحكومة وبين مسؤوليها وكوادرها وانشغل الجميع بالاعداد والاستعداد للزيارة التاريخية المرتقبة.. وكان من المقرر طبعا أن أكون بين المسؤولين الذين سيستقبلون السادات عند وصوله للقدس .. لكن حادثاً شخصياً حال دون ذلك.. انني لا أزال أذكر رجال الحزب الحاكم وكبار الشخصيات وهم واقفون في انتظار ان ينفتح باب طائرة السادات ويهبط منها .. كانت لحظة تاريخية رائعة .. ولم أصدق عيني وأنا أرى الجماهير في اسرائيل وقد خرجت عن بكرة أبيها وبمختلف توجهاتها السياسية ترحب بالرئيس السادات .. كانت عيناي تتابع التلفزيون وهي تتعلق بمشاهدة تشبه الأحلام .. وعندما انفتحت أبواب

الطائرة.. انحبست أنفاسي وأنا أشاهد السادات يظهر وقد رسم علي شفتيه ابتسامة عريضة.. يحاول بها أن يجتاز الهوة السحيقة .. ولا أزال أتذكر الجماهير يقودها الحماس الشديد وهي تستقبل السادات الذي جاء اليهم لإيقاف حمامات الدم التي أريقت علي أراضينا .. سوياً ..

ويضيف وايزمان قائلاً : « وبعد أن عاد السادات الي مصر كنت حريصا علي متابعة ردود الفعل من جماهير الشعب المصري.. والحقيقة أنني سعدت باستقبال الشعب له بعد عودته.. وساعتها تذكرت ما قلته للسادات من أن السلام تصنعه الشعوب وليس الزعماء.. وساعتها ايضاً تأكدت من أن السلام يمكن أن يتحقق » .

خلال كلام رئيس دولة اسرائيل الطويل عن السلام كنت أسأل نفسي: ترى هل يمكن أن يتحول الصقر إلى حمامة تحمل غصن الزيتون .. ولم أشأ أن أخفى هذا التساؤل فصارحته به فقال ضاحكاً إن كثيرين غيرك سبق وأن سألونى هذا السؤال وقلت لهم أنكم لا تعرفون ولا تفهمون كيف يكون الصقر الحقيقى .. إن الحمامة تهدل وترفرف بأجنحتها فى تردد وريبة .. ولكن الصقر ينقض ويستحوذ على المبادرة ويستفيد من تغيير موقفه لصالح قضيته ..

ومن وجهة نظرى فإن الصقور والحمائم تشبه الطائرات.. فالحمامة مثل الطائرة البطيئة.. أما الصقر فهو مثل الطائرة السريعة .. والأولى ليس لديها اختيار فهى تسير بسرعة بطيئة لأنها تفتقر إلى القوة اللازمة لكى تكون مسرعة.. أما الصقر فلديه اختيار.. فالصقر بإمكانه أن يطير بأقصى سرعته.. بإمكانه أيضاً أن يبطيء من سرعته .. وبسبب هذه المرونة الهائلة فهو

يتصرف بشكل أفضل فى أى موقف مفاجىء .. إن تحقيق السلام يتطلب حماساً وعملاً لا يقلان عن المهمات الدموية فى الحرب ففى السلام كما فى الحرب .. لابد أن تكون مستعداً للمخاطرة .. من هنا فالصقور هم الذين يصلحون لأن يكونوا أمهر القادة فى الحرب .. وفى السلام ..

* * *

ومن حديث أحد الحمائم عن السلام انتقل إلى لقائى داخل الكنيست الإسرائيلى مع أحد الصقور الذين ينتمون إلى كتلة الليكود، وهو عوفاريا عيلى الذى شغل منصب نائب وزير الدفاع فى حكومة إسحق شامير كما كان عضو المجلس الوزارى المصغر الذى يهتم بالشئون السياسية والخارجية .. وعندما واجهت عوفاريا عيلى بأسباب وقوف الليكود ضد الإتفاق الفلسطينى الإسرائيلى وعدم تصويته لصالحه وإن كان هذا الموقف يعنى رفض السلام فى حد ذاته قال:

«علينا أن نتذكر دائماً أن حزب الليكود كان أول من وقع اتفاقية سلام مع مصر والليكود كان من المبادرين إلى الدخول فى مفاوضات مباشرة مع الدول العربية وقد بدأنا المفاوضات المباشرة فى مدريد بدون شروط مسبقة وقد تم ذلك عندما كان إسحق شامير رئيساً للحكومة وأكد عوفاريا أن الليكود لا يرفض الاتفاق ولكن ليس هذا الاتفاق فى ظل هذه الظروف والشروط التى ينص عليها .. وقال أننا نخشى أن تكون ضمن اتفاق المبادئ هذا مع الفلسطينيين أمور خفيةأكثر من المكشوفة والمعروفة .. فلا أحد يعرف إلي أين سيصل هذا الاتفاق بدولة اسرائيل..

إننا نعتقد انه يجب أن تتم مسيرة سلمية وفقا لما تم في كامب ديفيد من اتفاق بين الرئيس الراحل أنور السادات ومناحم بيجين رئيس الحكومة الاسرائيلية الراحل ، وهذا هو الأطار العام الذي يريد حزب الليكود ان يبنى عليه السلام .. وكما اعلن مركز الليكود عندما عرض برنامجاً بديلاً رغم أننا اعلنا أننا ملتزمون بالاتفاق لأنه اتفاق رسمي حتي وإن كنا غير راضيين عنه ولكننا ملتزمون به باعتبارنا دولة ديمقراطية حيث أن الاتفاق وقعت عليه حكومة شرعية ..»

* * *

يعتبر يوسى ساريد – وزير البيئة واحداً من الحمائم فى اسرائيل .. فمنذ انضمامه الى حكومة حزب العمل عندما انضمت كتلة اسرائيل الديمقراطية «ميرتس» الي «المعراج» في التآلف الذي يحكم اسرائيل الآن ، ومنذ توليه موقعه في الوزارة الاسرائيلية الجديدة كوزير للبيئة ، وهو يطرح آراءا شديدة الاعتدال خاصة فيما يتعلق بجهود السلام التى تبذل فى المنطقة ، وقد أكد لى أن السلام مع سوريا والأردن سيتحقق خلال عام ١٩٩٤م بما يعني التوصل الى سلام شامل بشرط ضرورة تغيير المواقف وتوافر النيات الطيبة لتحقيق السلام .

وقال ان اسحاق رابين يدمج فى سياسته نية طيبة نحو السلام مع ضرورة وجود اجراءات حتمية بالنسبة للأمن والحفاظ علي السلام، وتطورات الظروف هى التى تفرض تغيير المواقف وقد قام الجميع بتغيير مواقفهم وآرائهم علي نحو أو آخر فعرفات لم يعد مثلما كان عليه عرفات من قبل..

واسحاق رابين لم يعد كما كان من قبل ، وكذلك موسي ساريد لم يكن مثلما كان عليه من قبل بالنسبة للرأى العام الاسرائيلى فإنه كان على استعداد منذ حين لهذا التغيير وللحوار مع منظمة التحرير الفلسطينية ، لذا فإن الرأى العام سبق فى هذه الناحية الكثير من الشخصيات الاسرائيلية.. كما توصل الرأى العام ايضاً الى أنه يتعين الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية وإلا فإن النزاع سيستمر الى مالا نهاية وسوف يتفاقم أكثر وتزداد خطورته .

ومن أجل استمرار مسيرة السلام من خلال الاتفاق الفلسطينى الاسرائيلى حذر يوسى ساريد قائلا :«هناك مخاطر كثيرة وبالذات في هذه الفترة الانتقالية لأنها فترة اختبار .. وفترة الإختبار هذه ستستمر نحو خمسة أعوام ، وفى العام الثالث ستبدأ المفاوضات بالنسبة للتسوية الدائمة وإذا ما اتضح أن الفترة الانتقالية أثبتت تغيير الوضع لدى الفلسطينيين الى النقيض فإن مطالب الأمن الاسرائيلي سوف تكون أقل .. لكن إذا ما أثبتت الفترة الانتقالية أن الوضع لم يتغير بالفعل واستمرت الأعمال المعادية والمناهضة لاسرائيل فان مطالب الأمن الاسرائيلية سوف تكون أكبر بكثير ، لذا فان كل شئ يتعلق بواقع المرحلة الانتقالية .. وهذا هو بالفعل الواجب الملقى على عاتق زعامة منظمة التحرير .. فعليها أن تقوم بطمأنة الرأى العام فى اسرائيل بأن الخطوة التى اتجهنا اليها هى خطوة سليمة وإيجابية ومشجعة على طريق تحقيق السلام..

أما حول مدى قناعته بأن الإتفاق المبادئ الفلسطينى الاسرائيلى يؤكد أن سياسة الحرب والتوسع لا تحقق الأمن والسلام قال :« إن ما يهم الرأى العام الاسرائيلى هو الأمن وإذا كان من الممكن أن يتحقق ذلك عن طريق

السلام فإن غالبية الشعب الاسرائيلى ليست مهتمة بعملية التوسع فى أية منطقة من المناطق»..

وعن مدى إيمانه بمبدأ الأرض مقابل السلام هل يمكن أن يحقق السلام الشامل العادل بين العرب واسرائيل قال :« اننا نعطى الأرض وكل مانريده هو السلام ، وقال إن اسرائيل الكبرى من البحر الى النهر ، وأرض الميعاد .. كل هذه كانت مجرد دعاوى تحدث عنها البعض وشعارات رفعها البعض الآخر، إن الحلم الصهيونى هو - إجمالاً- حلم صغير جداً ومتواضع، وما نريده هو دولة خاصة بنا تقع فى الشرق الأوسط من خلال السلام مع جيراننا والحفاظ على أمن هذه الدولة..

إن الذين يتحدثون عن اسرائيل الكبرى من الشعب الاسرائيلى أصبحوا أقلية الآن ولا يشكلون ضغطاً إيجابياً .. إن كل مايريده غالبية الشعب الاسرائيلى الآن هو أن يعيشوا فى سلام داخل دولتهم ، والواقع أن بن جوريون لم يكن يعمل لتحقيق حلم صهيونى معين وكان هو أول من وافق على مشروع التقسيم ، ولو كان قد تم تنفيذ ذلك المشروع عام ١٩٤٨م لكانت اسرائيل ضمن حدود التقسيم ولعشنا سعداء بلا قلاقل .. وعلينا الآن أن نعيد الحديث عن التاريخ ولنولى اهتمامنا نحو المستقبل » ..

* * *

من عش الحمائم انتقل مرة أخرى الى وكر الصقور لأواجه أكثر الصقور الاسرائيلية تشدداً وشراسة (الياهوين اليسار) عضو الكنيست عن حزب الليكود.

ولأنه كان أول سفير لاسرائيل فى مصر فقد كان مدخل حديث السلام معه من خلال السلام مع مصر .. وأقول له أليس غريباً أن «الليكود» الذى صنع السلام مع مصر .. هو نفسه الذى يعارض الآن الاتفاق مع الفلسطينيين.. فقال :« إن الليكود لم يعارض الاتفاق مع الفلسطينيين .. الليكود يعارض الاتفاق مع منظمة التحرير الفلسطينية ، وهو يؤمن بأن المكان الذى توجد فيه المنظمة هو مكان لا يمكن أن يتحقق فيه السلام .؟!

فأينما توجد المنظمة لا يمكن أن يتحقق السلام ، وأننى اندهش من الذين يقولون أن هناك فارقاً بين منظمة التحرير وحماس .. فنحن نرى أنه ليس هناك فارق في الأهداف على الأقل فالحقيقة أن عرفات أدرك أنه ليس بوسعه التغلب على اسرائيل بالقوة ولذلك فإنه يسلك طريق السلام الآن ..ليس لأنه يؤمن بالسلام ، وإنما لأن السلام بالنسبة له برنامج مرحلى ».. ويواصل بن اليسار حديثه قائلاً: « وأنا أقولها صراحة أننى أرفض تماماً إضافة أية دولة عربية جديدة فى المنطقة، وأعنى بذلك تحديداً دولة فلسطينية.. أنا أكره عرفات كرهاً عميقاً ، وأكره المنظمة أيضاً .. لأننى أؤمن أن عرفات عندما يقول أنه يريد دولة فإنه يعنى ذلك، وعندما يقتل ابنائى فإنه يعنى ذلك، ولكل هذا أقول أن من يصدق أنه بالإمكان توقيع اتفاق سلام مع عرفات والمنظمة فهو شخص أعمى!!»

وعندما قاطعته معترضاً على هذا الحجم من الكراهية الذى يكنه للعرب ولياسر عرفات قال : « أنه خطأ فادح أن تقول أننى أكره العرب ، أنا لاأكره العرب .. بل أشعر أننى قريب منهم .. عندما كنت فى مصر كانت لى مشاعرى

الودودة تجاه المصريين ، وإذا كنت تقصد العرب الآخرين فأنا على استعداد لاصحبك غداً إن شئت إلى كل قرية عربية .. بما فى ذلك بيت لحم ورام الله، وسوف تشاهد بنفسك كيف يستقبلنى العرب ، فليس هناك أية مشكلة بينى وبين العرب ، ولقد زارنى فى منزلى العديد من الفلسطينيين.. وربما أكثر من أى شخص آخر ،حتى فى حزب العمل .. فأنا لا أشعربأى استعلاء نحو العرب .. بل أشعر تجاههم بمشاعر الانسانية والزمالة والصداقة .. أما عرفات والمنظمة فهذا موضوع آخر قلت رأيى فيه بكل صراحة »..

ولأن مدخل حديثى مع هذا الصقر الاسرائيلى الشرس كان عملية السلام مع مصر خاصة وأنه كان له دوره البارز فى اتفاقية كامب ديفيد .. فعدت معه من حيث بدأت لأقول له : إن الجميع يقرون ويعترفون بأن اتفاقية السلام مع مصر قد نجحت فى إنهاء التهديد والتوتر فى المنطقة ، وفتحت الباب نحو السلام الشامل إلا أنت الذى لا تقر بهذه الحقيقة .. فقال : « أننى لا أنكر أن الاتفاقية ساهمت فى تحقيق ذلك بقدر كبير ، ومع ذلك لا تزال المنطقة – منطقة الشرق الأوسط – غير مستقرة .. فالحرب بين مصر واسرائيل انتهت.. لكن الحرب مع الدول العربية الأخرى لم تنته .. هناك ايضاً عناصر تساهم فى استمرار التهديد والتوتر بالمنطقة ، ولاتزال قائمة رغم عدم وجود صلة بينها وبين النزاع العربى الاسرائيلى .. على سبيل المثال.. العراق – سوريا والمتطرفون الاسلاميون وايران ايضاً .. كل هذه الأمور تسبب التهديد والتوتر رغم انه ليس هناك علاقة بينها وبين النزاع العربى الاسرائيلى .»

* * *

وتتـــواصل جولتى بين الصقور والحمائم في اسرائيل بحثاً عن السلام فى عيونهم ... وقبل أن أصل إلى محطة زعيمة الحمائم فى الكنيست الاسرائيلى ياعيل ديان .. التي تراهن على السلام مع الفلسطينيين وإقامة د ولة فلسطينية لهم ... أجدنى أقف أمام كلمات مائير شتريت - عضو الليكود الذي رفض معارضة اتفاقية السلام رغم افكاره المتطرفة حين قال لى : «أننى أؤمن أن الطريق الوحيد لليكود للحفاظ على المصالح الحقيقية لدولة اسرائيل والعودة إلى سدة الحكم لا يمكن تحقيقه والوصول اليه إذا قلنا أننا ضد السلام لأن الشارع الاسرائيلى الذى يضم مؤيدى الليكود معظمه يريد السلام» وأضاف قائلاً : « والواقع أنه منذ توقيع معاهدة السلام مع مصر وقد مضى عليها ١٤ سنة فلم يحدث سلام مع اسرائيل .. لم يحدث السلام الساخن الذى أريده بالرغم من تفهمى لمشاكل مصر مع العالم العربى ، وقد وقعت أحداث كثيرة فى تلك الفترة منها الحرب مع لبنان والحرب فى الخليج وقبل هذا وذاك اغتيل للأسف الشديد الرئيس السادات ، وكان هناك جدل عريض فى بعض المواضيع مثل طابا ، وبدأ السلام مع مصر رويداً رويداً يتحول الى سلام بين الشعوب خاصة أن الرئيس السادات ومبارك تفهما جيداً أن مصلحتهما الأولى لمصر- ولاسرائيل ايضاً النهوض بالاوضاع الاقتصادية خاصة بعد استعادة مصر لآبار النفط التى كانت استولت اسرائيل عليها بالاضافة إلى اعادة الملاحة الى قناة السويس، وهذا ما يتيح لحكام مصر توظيف الموارد الرئيسية فى تحسين المجالات الاقتصادية، وكنت أريد أن يحدث نفس الشئ مع الدول العربية الأخرى. ولأن موارد هذه المنطقة هائلة، موارد

بشرية وطبيعية هائلة ومساحات شاسعة..فإذا ما استبعدنا مسألة الحرب فسيكون بإمكان الشرق الأوسط خوض المنافسة مع أوروبا وأمريكا معاً .. ولا ينكر مائير شتريت إيمانه بمبدأ الأرض مقابل السلام ، ويقول:

« لقد أعاد الليكود سيناء مقابل السلام ، وعلى الجميع أن يفهم أن هناك تناقضاً فى اسرائيل .. هذا التناقض بين صقور السلام وحمائم الحرب.. وانا أدعى أن فى اسرائيل اليسار الوحيد الذى يمكن أن يخوض الحرب بإجماع وطنى ، واليمين فقط الذى يمكن أن يصنع السلام بإجماع وطنى ، وقد ثبت ذلك عدة مرات فى تاريخ اسرائيل .. فلو لم يكن مناحم بيجين رئيساً لحكومة اسرائيل فى معاهدة السلام مع مصر فإن التجمع لم يكن فى استطاعته إعادة كل شبه جزيرة سيناء أو اقتلاع المستوطنات وإذا كان شامير يشن حرباً مثل التى شنها رابين عندما قصف قري عديدة وأرغم السكان على الرحيل منها.. كان مئات الآلاف يخرجون إلى الشوارع معترضين ، ولذلك فإن الفرصة للتوصل الى تسوية اقليمية حقيقية فى أية مرحلة ليست غداً ولكن ربما بعد فترة معينة فإن هذه الفرصة أكبر إذا عاد الليكود إلى الحكم »

* * *

وأصل إلى ختام جولتى مع ياعيل ديان التي تمثل تياراً داخل الكنيست يدعو للسلام مع الفلسطينيين والعرب بل وتتعاطف مع قضاياهم الي الحد الذى يعتبره الكثير من المتشددين نوعاً من التطرف .. قالت لى مؤكدة : « أننى لا يساورنى أدنى شك في رغبتهم فى السلام من أول ياسر عرفات حتى آخر الفلسطينيين المقيمين ، ولا تهمنى الدوافع التى يرغبونها لتحقيق السلام ، فبعد

صراع طويل وبعد أن انتهى الاتحاد السوفيتى ، وبعد كل الخيارات التي جربت.. يبقى السلام هو الخيار الوحيد »..

وأضافت: « اننى بآرائى وموقفى هذا لا أشعر أننى وحيدة فى المجتمع الاسرائيلى ، ولا أشعر أننى أمثل مجموعة هامشية فى هذا المجتمع.. بل أنا استمد القوة من الشعب الاسرائيلى المستعد لتحقيق السلام والتسوية والانسحاب ، وانا اعرف جيداً الثمن الذى يجب أن يكلفه هذا الأمر .. أننى أجرى بسرعة أكبر من الآخرين ، ولكن هؤلاء يصلون أيضاً إلى في النهاية المطاف .. أننى احيانا أقف فى الزاوية وحيدة لكن لا يساورنى أدنى شك أن التيار كله سيصل فى نهاية الأمر إلى المكان الذى أقف فيه .. وهذا التيار هو تيار السلام ، وايضاً تيار التفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية ، وتيار قيام دولة فلسطينية ، والتى يقولون الآن أنها لن تقوم، وانا واثقة بأن الدولة ستقوم فى يوم ما » .. وواصلت ياعيل ديان حديثها قائلة : « أننى دائماً أتذكر كلمات والدي موشى ديان : إن الحرب لا يمكن أن نمنعها لأن هذا مربوط بالآخرين.. أما الجهود من أجل السلام فلابد أن تكون غاية وايديولوجية.»

الحقيقة أن كلمات ياعيل ديان أزاحت من نفسى الكثير من الضيق الذي سببه لى موقف صقور السلام وحمائم الحرب..

٣

هكذا رأيت اسرائيل

رحلة غوص في أعماق النفس الفلسطينية

* صرخة من هؤلاء الذين اغتالهم الشقيق ولم يرحمهم العدو.

* الكل يريد أن يحصل على امتيازات بقبضة يده وبطلقات الرصاص .

* أهالي غزة يعيشون قمة المأساة في مدينتهم المهلهلة .



«لندفن الماضى .. وننسى الكراهية والأحقاد»

هذه الكلمات قالها شيمون بيريز عند توقيع الاتفاق الفلسطينى الاسرائيلى.. فهل يمكن تطبيقها حقيقة على أرض الواقع ؟ وعلى أى واقع: الاسرائيلى الفلسطينى.. أم الفلسطينى الفلسطينى ؟!.. وهل يمكن نسف الأحقاد الدفينة بين الفلسطينيين واليهود وبين الفلسطينيين بعضهم البعض ، والتى تولدت ونشأت وترعرعت على يد التآمر والقهر الاسرائيلى؟

سؤال محير آخر من بين الأسئلة الكبيرة التى رحت أبحث عن اجابة عنها خلال رحلة التحدي مع النفس.

لست أدرى إن كانت استعارتى لكلمات بيريز لأبدأ بها حديث الغوص فى أعماق النفس الفلسطينية جاءت من باب الحكمة أم من باب السخرية .. من باب الاقتناع أم التعجب والاستغراب ؟ ومهما كانت دوافعى الكامنة فقد فرضت هذه العبارة البيريزية نفسها علي قلمى كما حددت مكانها فى البداية..

والحاقا بهذه العبارة أجدنى اقتبس عبارة أخرى قالها مؤرخ يونانى قديم لوصف العلاقة بين الحكام الاسرائيليين والشعب الفلسطينى عندما قال: «إن القوى يفرض ما يريده والضعيف يعانى مما يلاقيه »

إن ما قاله المؤرخ اليونانى هى الحقيقة بعينها .. فمن الأمور البديهية أن المنتصرين هم الذين يكتبون التاريخ ، وبالتالى فإنه غالباً ما يكتب عن الأقوياء أكثر من الضعفاء ، وقد شوهت النزاعات التاريخية المتأصلة تاريخ فلسطين الحديث وتاريخ شعبها .. وقد تعرض المجتمع الفلسطينى للتفكك والتشتت ، وحتى الحقيقة التاريخية الخاصة بوجود فلسطين ككيان من قبل الفلسطينيين كشعب .. أصبحت محل خلاف وصورت على أنها وهم مشكوك فى صحته وأصالته ، ونسى العالم أن تدمير فلسطين أمر حديث جداً .. إن من يحاول الغوص فى أعماق النفس الفلسطينية لابد أن يعود إلى الوراء وينبش فى الجذور العميقة ليكتشف أن الصهاينة قد عاملوا الفلسطينيين باعتبارهم خاضعين لهم بل حرموهم من أى وجود ذى معنى فاهملوا الأرض قبل عام ١٩٤٨م ، وبعد اقامة اسرائيل كدولة (للشعب اليهودي) وليست كدولة لمواطنيها تم إنزال الفلسطينيين من الناحية القانونية الي مرتبة أدنى (هى مرتبة غير اليهود) ، وهكذا أصبح كونك فلسطينى خلال العشرين عاماً الأولى من وجود اسرائيل.. يعنى إما النفى مع ما يصل إلى ٧٨٠ ألف فلسطينى تم طردهم عام ١٩٤٨م.. أو العيش بشكل مهين داخل اسرائيل مع باقى الفلسطينيين الذين يبلغ تعدادهم ١١٠ ألف فلسطينى ، والذين تمكنوا من البقاء ..

وقد كشف النقاب عن التفاصيل المروعة لتلك الحياة للعالم لأول مرة فى الكتاب الذى وضعه صبرى جريس بعنوان : العرب في اسرائيل - ١٩٧٦م-

والذي استكمله فى عام ١٩٧٩م ايليا زريق فى كتابه : الفلسطينيون فى اسرائيل/ دراسة فى الاستعمار الداخلى – ١٩٧٦م .. وجدير بالذكر أن كلا الكاتبين هما نفسهما نتاج للحياة كفردين من الأقلية الفلسطينية ..

وهنا يجب أن نعود للوراء أبعد من ذلك .. فمنذ ظهور دولة اسرائيل فى الوجود عام ١٩٤٨م – وبالرغم أن الاستعدادات لقيامها قدجرت قبل ذلك بفترة طويلة – تم إغراق الغرب بسلسلة كاملة من القصص والمفاهيم التى اكتسبت قوة وشرعية الحقيقة .ورغم وجود أغلبية كافية تصل الى٦٧٪ من العرب الفلسطينين الذين كانوا يملكون أكثر من ٩٠٪ من الآراضى فى عام ١٩٤٨م، وذلك بعد عشرات السنين من الهجرة والاستيطان اليهودى..

سمع العالم عن أرض خالية يعارض سكانها بقوة الاستيطان اليهودى فى جبل صهيون حتى بعد وقوع المحرقة (الهولوكست) وبعد ذلك تكاثرت الأساطير وشكلت نظاماً أصبح في الغرب على الأقل ، من الصعب كثيراً انكاره (فالعرب) تركوا الفلسطينيين لأن قادتهم دعوهم الي ذلك ، والعرب على وشك تدمير الدولة اليهودية ، ولانهم كانوا متحالفين بالفعل مع هتلر فان معارضتهم لاسرائيل – أساساً – عنصرية وفاشية واسرائيل هى الديمقراطية التى يعد حق وجودها حقاً دينياً ويتفق مع الأخلاق .. حيث لا يوجد أحد عانى أكثر من اليهود .. ووجودها تاريخياً (حيث أن العالم بأسره قد وعد هؤلاء الليبراليين اليهود من أوروبا بأرض فلسطين الخالية.... وهى فوق كل شئ تتمتع بجاذبية سياسية .. حيث تبدو تجسيداً لكل صيغة يمكن تصورها عن الرواد والعلماء البارعين ودعاة الانسانية الجسورين ، والمقاتلين النبلاء ، واسرائيل هى هدف الهجمات التى تجاوزت فى العدد والوحشية إلى حد كبير .. أى

شئ أنزلته بأعدائها قبل ومنذ عام ١٩٤٨م على حد سواء ، واسرائيل ترمز الي التقدم والسلام فى حين يعد أعداؤها العرب مسلمين متعصبين ينتمون الي القرون الوسطى وقتلة متوحشين، ومنافقين يستحقون الاحتقار ، واضيف الي هذه الافكار امتدادات أو تفصيلات للنظام الرئيسى مثل القول بأن الفلسطينيين ليس لهم وجود ، وأن الأردن هى فلسطين فى واقع الأمر، وأن العرب يستخدمون الفلسطينيين كوسيلة لكراهية اليهود أو ليكونوا مؤذين بلا مبرر .. ومع ذلك كان هناك دائماً العديد من الدلائل لدحض معظم إن لم يكن كل هذه الخرافات التى لم يكن هدفها الرئيسى كسب التأييد لاسرائيل فحسب بل أيضاً اخفاء الخسائر البشرية المروعة التي يتكبدها الفلسطينييون نتيجة ممارسات اسرائيل ..

فقد كان هناك دائماً فلسطينيون حقيقيون ينبضون بالحياة ، وكانت هناك أرقام الاحصاءات الرسمية للسكان ، وسجلات حيازة الأرض وتقارير الصحف والاذاعة وتقارير شهود العيان ، وبالطبع الآثار المادية البحتة للحياة العربية فى فلسطين قبل وبعد عام ١٩٤٨م ، وكان فى إمكان أى شخص يشعر بالاهتمام باكتشاف ما إذا كان الفلسطينيون قد فروا لأن قادتهم قد دعوهم لذلك والتحقق من مدى صحة هذا الزعم بمراجعة السجلات أو الاستناد إلى مصدر موثق بشأن يوم محدد ولكن يبدو أن أياً من هذين الاجرائين لم يكن ضرورياً وبالمثل كان في الامكان مراجعة واكتشاف ما إذا كان العرب قد أدلوا بيانات بشأن السلام أم لا أو ما إذا كان يمكن مقارنة(الارهاب) العربى من حيث النتائج بارهاب عصابات شتيون والهجاناة وارجون أو بمزاعم اسرائيل (بطهارة اليد) أو ما إذا كان من الحق أو العدل أو الحتميات التاريخية الوعد

بأرض يملكها أحد الشعوب لشعب آخر يستولى عليها بعد ذلك عسكرياً ويشيد الغرب المستنير بالغزاة ويلقى اللوم أو يتجاهل الضحايا تماماً ..

لقد كان لهذه الخرافات عالمها الخاص بشكل أو بآخر واليوم فإنها تبدو سخيفة ومنافية للعقل إلى حد كبير عما كانت عليه منذ ٤٦ عام وما زالت تبدو- كذلك حتى الآن .

* * *

اصطحبنى الشاب الفلسطينى ابراهيم إلى أحد معسكرات اللاجئين فى غزة واختار شابين من بين الواقفين حولنا ليركبا معنا السيارة الي داخل معسكر الشاطئ للاجئين .. الذى يزيد عدد سكانه على ٣٠٠ ألف نسمة لم أكن قد رأيت طوال عمرى مخيماً للاجئين الفلسطينيين ، ولم أكن اتصور على الاطلاق أن فى القرن العشرين الذى يوشك أن يودعنا بشراً يعيشون مثلما يعيش سكان معسكر الشاطئ بقطاع غزة .. عشش من الصفيح شديدة التواضع تتراص فى شكل يصلح أن يكون لوحة سيريالية أو مشهداً عبثياً فى ملهاة إغريقية حزينة .

داخل المخيم تكدس سكانى لا أظن أنه له مثيلاً فى الدنيا بأسرها .. أطفال صغار يملأون الطرقات والأزقة شديدة الضيق والقذارة . أكوام الزبالة تتداخل مع العشش السكنية والبيوت مع الطيور والحيوانات والحشرات يتداخلون فى تمازج غريب كانت أعماقي تصرخ..كيف تحمل ضمير الانسانية هذه المأساة التى يعيشها سكان هذه المخيمات وطوال هذه السنوات؟.

ونظرت الى واحد من مرافقينا وقد طالت لحيته وسألته لماذا تعارضون اتفاق

المبادئ غزة – أريحا ؟ بدأ الشاب الملتحى فى الكلام : الواقع نحن لسنا ضد أن يكون هناك سلام بيننا وبين الاسرائيليين لكن المهم هو مفهوم السلام الذى نريده.. أنه يختلف عن السلام الذي وقعوا عليه فى واشنطن.. السلام بالنسبة لنا هو السلام العادل الذى يعيد الحقوق المسلوبة من الشعب الفلسطينى .. يعيد إلينا ترابنا الوطني .. أرضنا المشهودة وكرامتنا ، وليس السلام الذى يعيد الينا عدة كيلو مترات من الأراضى التي أرادت اسرائيل أن تتخلص منها .. هذه غزة أمامك.. ماذا يغري الاسرائيليين .. انها خرابة .. مدينة مهلهلة .. كل مرافقها مهترئة .

والــواقــع أن مشاعر التعاسة تستولى بصورة أو بأخرى على جميع الفلسطينيين بدون استثناء ، الذين يعيشون منهم فى المدن أو المستعمرات ، والذين يعيشون منهم كلاجئين منذ ١٩٤٨م أو بعد حرب ١٩٦٧م والمعتدلين منهم والمتطرفين ... إن هذا الشعور هو رمز فلسطين نفسها والتعبير الصادق عن جذور الجرح الغائر الذى أصاب الأمة فى وجدانها ومقدساتها . وهذا هو سر حالة العنف المتفشية فى بعض الأماكن ويعد اسلاميو حماس بأنهم على استعداد لتكرار انتقامهم من جنود الاحتلال كل يوم .

وأثـنــاء جولتى فى مدينة أريحا اقتربت من أحد الرجال المسنين من الفلسطينيين الذين يسكنون بالقرب من عين السلطان ..قال الحاج اسماعيل (ابو مازن): « انا عمرى يزيد على الثمانين عاما .. لا أعرف كم سنة يزيد على الثمانين، لكن كانت أقصى سنوات العذاب التى عشناها بعد حرب ١٩٦٧م وفى ظل الاحتلال الاسرائيلى ..صدقني يا بنى إننا كأننا بشر منسيون ..لا اهتمام بشئوننا وكأننا لسنا بشراً ..أنا أحزن كثيراً عندما أسمع بعض الأخوة

الذين يقولون لماذا أريحا بالذات ..حيث نجد أن البعض لا يقنع بأريحا ..أقول لهؤلاء .. أنتم لا تعرفون أريحا .. إنها مدينة الخيرات .. اذا اعطيتموها فسوف تعطيكم .. إن أرضها خصبة ومياهها حلوة وخيرها كثير .. ولا يزال أبو مازن ينطلق بسيمفونية حب أريحا :«تعرف يا ولدى أريحا هذه زارها كثير من الأكابر ..الخديوى اسماعيل عندكم من مصر جاء الى هنا ، وهيلاسلاسى زارنا أيضاً من الحبشة.. بورقيبة من تونس.. رشيد كرامي، وكثير وكثير. انظر يابنى للأعلام الفلسطينية التى تزين كل البيوت لقد كنا عطشى لهذا اليوم ».

ومــاهي إلا ثوان حتى فوجئت بشاب يقترب منا وقد بدت الغلظة على وجهه.. ألقي علينا السلام ، ثم توجه إلى متسائلاً : من أين الأخ؟ قلت من مصر.. قال: أية خدمة ؟.. قلت : أنا صحفي وبعمل تحقيق صحفي عن الأحوال بعد اتفاقية غزة - أريحا..قال بغلظة : احنا ما بنحبش الصحافة والصحافيين.. قلت ليه ؟! قال بسخرية : مش انتم فى مصر بتغنوا من غير ليه - فضنا يا أخينا من ها الشغلة.. نظرت إلى والده فجاء رد الفعل سريعاً عندما قال لابنه: عيب يا باسل الرجل ضيفنا .. رد هذا اللاباسل يابا ها دول الصحفيين ما بيجى من وراهم غير وجع الراس ..نظر الرجل الى وقال : معهلش يا ولدى حقك على، ابنى باسل مهندس ميكانيكى ، واتعلم عندكم فى مصر وكمل فى امريكا.. هو طيب بس عصبى حبتين..

قلت ولا يهمك يا حاج اتفضل كمل كلامك .. أخذ الرجل يعدد لى فوائد ومزايا اتفاقية السلام وتأييده لها .. كان الرجل متحمساً رغم سنه ، وبعد قليل جاء الفتى الفظ بعد أن كان قد تركنا بضع دقائق بادرنى قائلاً : معلش يا أخ لا تؤاخذني أصلى مش عاجبانى الاتفاقية اللي بيسموها سلام دي .. انتهزت

الفرصة وقلت : اجلس يا أخ باسل وحدثني عن .أبك .. قال بشرط لا تصورني ولا تكتب اسمي.. اكتب كلامي إذا اردت ..

قلت لا بأس : تفضل .. وانطلق باسل يتحدث عن القضية الفلسطينية، وعن التسويات العربية والخيانة العربية والضعف العربي .. عن الاضطهاد والعنصرية .. عن اليأس الذي يعيشه الشباب الفسطيني مما دفعه للانتفاضة، وبادرني باسل بسؤال : تفتكر فيه حد صنع الانتفاضة من الذين يدعون قيادتهم لها .. كذابين .. لقد صنعها الشعب الفلسطيني المقهور في الداخل .. انها موجة ركبها بعض القيادات من هنا وهناك ، ولبس الجميع أثواب الشجاعة.. قال باسل لاتزال كلماته تنطلق مثل طلقات الرصاص وطلقات الحجارة .. كانت حرارة الكلمات ترتفع كأنها اطارات السيارات المحروقة وقنابل المولتوف وأصابع الديناميت .

الانتفاضة ظلت تؤدي واجبها سنوات قبل أن تمتد اليها أية يد للمساعدة، وبعد ان تلقت المساعدات من جهات عديدة لم تكن كلها مخلصة في نية المساعدة.. تحولت الانتفاضة بعد سنوات أذاقت خلالها الاسرائيليين ألواناً من العذاب مثلما عذبونا ..أذهبت النوم من عيونهم وولدت الرعب في نفوسهم وأسكنت الخوف في قلوبهم .. بعد أن شعر اليهود بأنهم غير آمنين على بيوتهم وأنفسهم وممتلكاتهم .. على حاضرهم ومستقبلهم .. بدأ الاختراق للانتفاضة ينحرف بها عن أهدافها فعمت الفوضي الشارع الفلسطيني وتحول كثيرون من الجناح العسكري للانتفاضة الى بلطجية تحول التمرد على الاحتلال الى تمرد على الآباء والأمهات، على التقاليد والأصول والقيم..فكان ما كان من جرائم تقع باسم الانتفاضة وكان الشرفاء من المناضلين من أكثر المتضررين من هذا

السلوك غير السوى الذى اتبعه حفنة من المستهترين..بدأت عدواهم تتسع حتى أصبح مظهر الانتفاضة هو الارهاب والبلطجة، وشيئاً فشيئا استطاع الاسرائيليون تكوين فرقة من الملثمين الذين يقومون بأعمال اجرامية حتي يكره الشعب الفلسطينى الانتفاضة التي صنعتها إرادته النضالية الوطنية ونجح الاسرائيليون للأسف فى ذلك .. بل فى تجنيد بعض العناصر المشبوهة للعمل في تشويه ممارسات الانتفاضة ... واكتساب الاعداء لها كل يوم.. قلت لباسل : إن كلامك هذا فيه كثيراً من التجنى على الشرفاء والمناضلين من رجال الانتفاضة ..

قال فى عصبية : من قال أن كل رجال الانتفاضة خانوها أو تجاوزوا أهدافها أو نالوا من كفاح ونضال ابطالها.. يا استاذ اللي بيكلمك ده بكل تواضع من قيادات الانتفاضة .. ثم اردف قائلاً : إن شالله تكون ارتحت الآن.. قلت محاولاً تخفيف انفعالاته : صدقنى أنا كعربى فخور بالانتفاضة لكن صدقني أيضاً إن ماتقوله عن سلبياتها جديد تماماً على ..

قال : للأسف لا أحد يقبل الحقيقة .. لا أحد يستطيع أن يتحدث بصراحة ويمارس النقد الذاتى .. من يجرؤ أن يتحدث عن سلبيات الانتفاضة من داخلها أو من خارجها .. سوف يتهموه بالخيانة العظمى للقضية أسهل شئ لدينا نحن العرب هو أن يتهم أحدنا الآخر بالخيانة بينما الخونة الحقيقيون لديهم ألف وسيلة لإخفاء تفاصيل خيانتهم .... قلت : والآن ماهو موقفكم .. إلى أين ستسير الانتفاضة بعد اتفاق المبادئ مع الاسرائيليين؟..

قال : أولاً نحن ضد هذا الاتفاق الذى ينهى كفاح الشعب الفلسطينى الى هذا الفتات الذى يهللون من أجل الحصول عليه .. لقد تمت مصادرة آمال

شعبنا ومصادرة مسيرة كفاح الأجيال القادمة .. لاتصدق أننا سوف نحصل على أكثر من ٢٥ كيلو متر التى تقف فوق جزء منها الآن (مدينة أريحا) .. وأنت كما ترى فإن هذه الأريحا التى ترتفع فوقها الأعلام الفلسطينية فرحاً وحبوراً هى من الأراضى المهملة والتي لا يوجد بها أى مرافق ،، انها صحراء جرداء كما تري اللهم بعض المزارع القليلة وبعض المحلات التجارية الصغيرة.. ماذا يوجد بأريحا ؟.. هل تعلم انها ملعونة فى التوراة ، لذلك لم تقم فيها مستوطنة اسرائيلية واحدة ولا يحبها اليهود .. اما غزة فهو قطاع تعيس يتكدس فيه ٨٥٠ ألف انسان فى بقعة حوالى ٣٥٠ كيلو متر ، ولا يوجد عمل للكثيرين من أبنائها .. لقد أراد اليهود التخلص منها فأعطوها لياسر عرفات وأصحابه وللأسف فرحوا بها وهللوا مثلما حدث مع أريحا.

تسألنى عن المستقبل .. عن خطوتنا القادمة .. إن المنظمات الفلسطينية الوطنية .. كلها ترفض هذا الاتفاق المشبوه لكن يخطئ من ينتظر أن يتقاتل الشعب الفلسطينى نحن فى فترة هدنة .. نلتقط الانفاس .. نتابع ونرصد.. نتأهب للغد ولا أقول نتصيد .. اذا كانت هناك خطوات جادة لاستعادة الضفة الغربية والقدس فسوف نرفع غصن الزيتون ونستعد لاستعادة المزيد من أرضنا المسلوبة .. يخطئ من يعتقد أننا نريد أن نطرد اليهود ونرميهم فى البحر .. فنحن لسنا غوغاء أو متخلفين .. الشعب الفلسطينى أكثر الشعوب العربية تعليماً وثقافة .. نحن نريد تعايشاً سلمياً مع اليهود .. فنحن نعترف أنهم كانوا يعيشون معنا فوق هذه الأرض منذ زمن قديم ، لكن القدر والجشع والحلم الصهيونى هو الذى قادهم لاحتلال أراضينا بالقوة وأبدا لن ننسى هذه الأرض أو نفرط فى ذرة تراب منها.. تسألنى ماذا سنفعل .. سننتظر وإن غداً لناظره

لقريب..قلت : أخ باسل..أفهم من ذلك أنك من حركة حماس..ابتسم بعد طول عبوس ياأخى كل لبيب بالاشارة يفهم .. عايزني أقولك أيه يعنى ؟!.. قلت: فهم، ولكن كيف تفسر التناقض بين وجهة نظرك ونظر والدك..

قال: أبى رجل (ختيار) عمره أكثر من ثمانين عاما . . عاش حلم عودة فلسطين .. وهاهو يتأثر بما يسمع بأن فلسطين عادت من بوابة أريحا فيصدق ويفرح ويهلل له يا أخى احنا ظروفنا صعبة تعبنا من الحروب والدم ،تعبنا من الجحود العربى .. ضربنا من الأشقاء فوق كل أرض ذهبنا اليها .. العدو لا يرحمنا والشقيق يقتالنا .. لذلك فإن الكثيرين من أبناء فلسطين اشتاقوا للحظة فرح وقد رأوا فى اتفاق المبادئ هذا فرصة للفرح والتهليل.. لكنهم لا يدركون أى فخ نصب لهم ... ونظر إلى باسل وقال : عرفت ليه انا كنت بأرفض اتكلم معاك أو ابويا يتعب نفسه فى شرح مشاعر وانطباعات لأنك لن تستطيع ان تكتب كلمة واحدة مما قلته أو قاله أبى لك .. كثيرون غيرك جاءوا إلى هنا .. تحدثنا اليهم.. شرحنا لهم .. لكنهم لم يستطيعوا أن يكتبوا كلمة واحدة مما نقول وماذا يفيد الحكى لقد جفت ألسنتنا ولكن لا حياة لمن تنادى .

وبعد لم يكن بوسعي أن أصادر رأى باسل .. هذا الشاب الثائر على كل شئ .. اليائس من كل من حوله .. الساخط على قدره وواقعه ورفاقه .. ولم يكن بوسعى أيضاً أن أتجاهل صرخته .. قررت أن أكتبها .. أسجل أنينها بمداد حزين غير عابئ بإمكانية نشر كلماته من عدمه .. يكفى أننى مارست الأمانة بينى وبين نفسى .. قلت لباسل : وأنا أستعد للرحيل .. نسأل الله أن يصلح الأمور وأن يكون الغد أفضل من اليوم بإذن الله .. هز باسل رأسه وهو يقول إن شاء الله .

إن الأمر الواقع الآن يؤكد أنه على الشعب الفلسطينى أن يواصل انتظاره قبل تحقيق أحلامه كاملة ولكن أين هذه الأحلام وسط هذا الجو السلطوى .. حلم أن يتفرغ الطالب لعلمه والتاجر لتجارته .. حلم فرصة العمل المتاحة لكل فرد والزواج وحق البناء .. حتى يكون له مكانه الخاص فى بلده فيشعر بالاستقرار وبأنه يعيش مثل غيره من البشر فى مناخ آمن يجعله يسير فى الشوارع بدون خوف من المطاردة بعيداً عن جو التفتيش والاحتجاز والمهانة الذى دأب أن يتعرض له قبل عبور أى جسر .. أمنيته أن يعيش بلا خوف ولعل السؤال الذى يفرض نفسه هنا :ماهو السبيل لكى يتوصل الفلسطينيون إلى تحقيق هذا الخليط المركب من الهوية والحرية والسلطة ؟.. التى تجعل مكان تواجدهم بلداً مكتمل العناصر ؟!..

وإلى أن يحين هذا الموعد ، ينعم الفلسطينيون .. أو بعضهم بفرحة اعتراف العالم بهم بعد سنين الاقتلاع من أراضيهم والتشريد والحروب .. فهل مجرد الاعتراف فى حد ذاته يريح النفس الفلسطينية المرهقة ؟.. ويعد مكسباً كبيراً بعد سنوات طويلة من التجاهل والنكران والعذاب النفسى الأليم؟!!..

المدينة العتيقة بين الهوية الفلسطينية والحلم الصهيونى

*** حلم اسرائيلى خاص جداً لمشكلة المدينة المقدسة .**

*** الاسرائيليون :**

القدس الموحدة هى العاصمة الأبدية لنا.

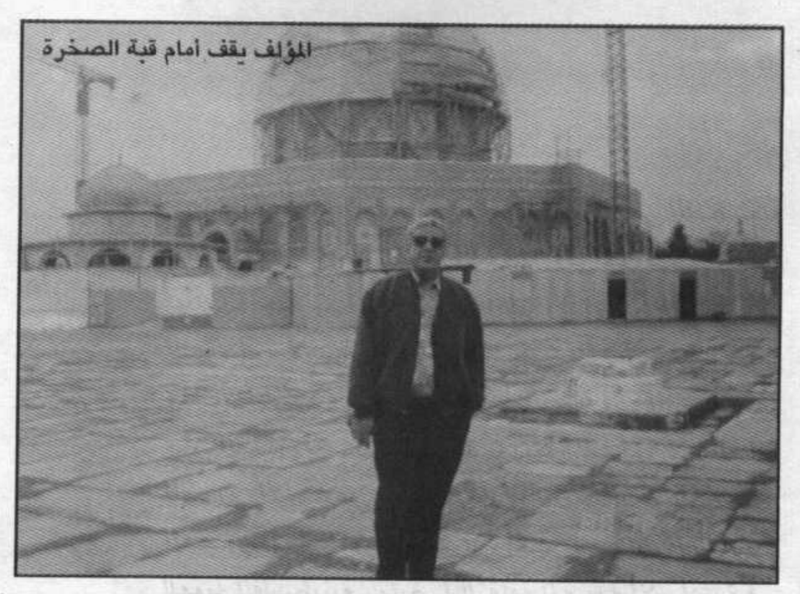
*** الفلسطينيون :**

القدس وليست أريحا عاصمة الدولة الفلسطينية الجديد.



تحتل مدينة القدس مكانة مركزية فى القضية الفلسطينية ، حيث لا مجال للتوصل الى حل نهائى وعادل لهذه القضية تتوافر له شروط الحد الأدنى من القدرة على التماسك والاستمرارية دون أن تكون القدس مشمولة فى هذا الحل وتقع فى القلب منه .. فبالنسبة إلى الفلسطينيين فإن القدس ليست فقط تلك المدينة المقدسة فى العالم العربي الاسلامي والمسيحى .. بل كانت وعلى مدى العصور أمرا حيوياً وجوهرياً وأحد المحددات الاساسية للهوية الفلسطينية ، وأيضاً للثقافة العربية الاسلامية فى المنطقة ومن ثم اصبحت قضية القدس هى المسألة الأصعب والأشد حساسية فى كل مفاوضات التسوية .. فالاسرائيليون من الناحية الأخرى يزعمون أنهم بحاجة إلى القدس باعتبارها جزءا أساسياً من الحلم الصهيونى ، ولأنها هى العاصمة الأبدية لدولة اسرائيل.. الأمر الذى يجعل عملية التسوية فى النهاية أمراً معقداً ومحفوفاً بالصعاب..

وكان لابد وأن تحتل مدينة القدس مكانها المستحق فى رحلة التحدى مع النفس. لذلك فتحت ملفها وطرحها على بساط الحوار والمناقشة مع كل من التقيت بهم من المسئولين على الجانبين الاسرائيلى والفلسطينى لعلنى أخرج فى



المؤلف يقف أمام قبة الصخرة

النهاية بهيكل مفتاح واحد تجمع أسنانه وجهتى نظر الطرفين..
ولكن هيهات أمام تمسك الاسرائيليين (صقورهم وحمائمهم) بموقف واحد راسخ هو أن القدس الموحدة هى العاصمة الأبدية لاسرائيل ، وهو موقف مشترك سواء فى تكتل الليكود أو تحالف العمل وان اختلفت عبارات الطرح أو تلونت أو غلفت فى أوراق من السوليفان .

* * *

قبل الخوض فى غمار هذه الحوارات نقوم بجولة فوق أرض واقع مدينة القدس مروراً بالتاريخ الحديث .. لقد قامت اسرائيل خلال حرب ١٩٤٨م باحتلال القطاع الغربى من القدس «القدس الجديدة» .. ورغم قرارات الأمم المتحدة ، أعلنت اسرائيل فى ١٩٤٩/١٢/١١م القدس عاصمة رسمية لها بدلاً

من تل أبيب ووافق الكنيست فى ١٩٥٠/١/٢٣م على اعلان القدس عاصمة دائمة لاسرائيل .. ولحق أهم تطور بوضع المدينة المقدسة عندما تمكنت اسرائيل من احتلال القدس الشرقية فى ١٩٦٧/٦/٧م ، وقامت فور احتلالها باتخاذ اجراءات من شأنها تغيير الطابع العمرانى لمدينة القدس وتكوينها الديموجرافى ، وهيكلها العام وذلك عن طريق إقامة طوق من المستعمرات حول المدينة ومصادرة الأراضى العربية وتعريض المقدسات الاسلامية للانتهاك أكثر من مرة ، وكذلك المقدسات المسيحية ..

وتماشياً مع الأهداف التوسعية لاسرائيل والرغبة فى فرض أمر واقع جديد فقد أعلنت الحكومة الاسرائيلية فى ديسمبر ١٩٧٤م عن مشروع القدس الكبرى الذي تضمن توسيع حدود القدس لتضم اليها ثلاث مدن ، و٢٧ قرية عربية ، وقد تمخضت هذه السياسات فيما بعد عن إصدار الكنيست قانوناً فى ١٩٨٠/٧/٣٠م باعتبار القدس الموحدة عاصمة أبدية لاسرائيل ، ومن الناحية السكانية أشارت المصادر الاسرائيلية على لسان نائب رئيس بلدية القدس « افراهام كحيلة» إلى أن القدس الشرقية أصبحت تضم ١٥٨ ألف يهودى فى مقابل ١٥٥ ألف عربى ، وأن اليهود أصبحوا يشكلون ٧٣٪ من سكان شطرى القدس ، ويمثل العرب ٢٧٪ فقط من إجمالى سكان المدينة، وقد جاء ارتفاع عدد السكان اليهود فى القدس الشرقية نتيجة للتخطيط المتواصل والمساعدات المالية السخية من جانب الحكومة.. إذ تمت مصادرة آلاف الهكتارات من الأراضى العربية لبناء المستوطنات الجديدة وإصدار تشريعات ونظم تعطى أفضلية لاسكان اليهود وتحد من محاولات العرب لانشاء مبان جديدة .

كما أن عدد المستوطنين اليهود فى الأراضى العربية المصادرة فى القدس يزيد الآن على عددهم فى كل من الضفة الغربية وقطاع غزة .. فمنذ عام ١٩٦٧ استوطن حوالى ١٢٠ الف يهودى فى الأراضى المحتلة ، ويقدر كحيلة : أنه بالاضافة الي الـ ١٥٨ الف يهودى الذين استوطنوا في القدس الشرقية فان هناك حوالي ٤٠ الف يهودي آخرين استوطنوا فى القدس الغربية .

وقد قامت البلدية ببناء حوالي ٢٧ الف وحدة سكنية لليهود في القطاع الشرقى من القدس منذ حرب ١٩٦٧م ، وتمت المصادقة على تراخيص بناء عددها ١٦٥٠٠ للعرب.. غير انه لم يتم بناء سوى نسبة ١٠٪ منها لأن الحكومة لا توفر الأموال اللازمة لذلك . وأظهر تقرير صدر فى شهر يوليو الماضى عن بلدية القدس ونشرته صحيفة «جيروز ليم بوست» أنه تم تحديد ١٥٢١٠ مسكناً جديداً لكل القطاع العربى فى المدينة، وقال التقرير أن الحكومة تحد بشكل نظامى من النمو فى عدد سكان العرب من خلال تطبيق نظام الحصص.

كما أن السماح باصدار مخططات البناء لا يعنى أنه يتم بناء المساكن، واستناداً على التقديرات التى صدرت مؤخراً فإن اسرائيل بنت ١٠٠٠ مسكن لليهود في القدس الشرقية مقابل كل منزل بنى للعرب فيها .

وهكذاتم خلق الحقيقة السكانية الجديدة فى المدينة حسب ما يقول «كحيلة» وقد قال للجنة التخطيط فى المدينة : « لقد أصبح اليهود أغلبية فى القطاع الشرقى من القدس على مدى العامين الماضيين والسبب الرئيسى فى ذلك هو تسارع عملية الإسكان والاستيطان فى ضاحية « بسفات زئيف» وسوف يتم بناء ستة آلاف وحدة سكنية أخرى فى المنطقة ..»

إن الاستيطان اليهودى فى القدس لم يتماش مع نسبة المواليد المرتفعة لدى العرب فحسب ، بل زاد عليها كثيراً ففى عام ١٩٨٣م .. كان اليهود يشكلون نسبة ٧١.٤٪ وساعد على ذلك موجة الهجرة اليهودية الجديدة ، وخصوصاً فى الاتحاد السوفيتى السابق ، إن الهامش السكانى فى القطاع الشرقى المتنازع عليه من القدس لهم، وبحكم الحق الانجيلى والتاريخى والعسكرى .

ويتفق نائب رئيس بلدية القدس «افراهام كحيلة» مع وجهة النظر هذه ، ويقول لست سياسياً يمينياً ، فأنا من الوسط من حزب العمل ، غير أن أى انسان يتحدث عن تقسيم المدينة يلعب بالسلام ..

بعد هذه الجولة السريعة من فوق أرض الواقع فى مدينة القدس أتوقف أمام كلمات نائب رئيس بلدية القدس واتساءل :ترى هل حقيقة أن أى انسان يتحدث عن تقسيم المدينة يلعب بالسلام؟!..

* * *

في لقائى مع يوسى بيلين نائب وزير الخارجية الاسرائيلى وأحد فرسان اتفاق المبادئ الاسرائيلى الفلسطينى .. حيث كان له دور أساسى فى مباحثات أوسلو اضافة لاتصالاته مع قيادات منظمة التحرير الفلسطينية ، ولقائه مع الرئيس الفلسطينى ياسر عرفات بتونس .. رغم هذا الدور الايجابى ، فعندما فتحت معه ملف قضية القدس والرؤى الكثيرة التي تعددت حولها وطلبت منه تحديد موقف الحكومة الاسرائيلي قال بحدة : هناك موضوعات أساسية تصر اسرائيل عليها ومنها قضية القدس .. فالقدس لابد وأن تكون موحدة وأن تظل السيادة عليها لاسرائيل وأن يكون لها بلدية واحدة .. هذا هو موقفنا المبدئى والواضح . ولكن فى هذا الاطار يمكن أن يصبح لسكان شرق القدس حكم

ذاتي أيضاً .. لكننا لا نقبل أى نقاش حول تجزئة القدس ولكن يمكن بالطبع أن يشارك الفلسطينيون في انتخابات القدس ، كما يمكن تجزئة القدس من الناحية الادارية ومن الناحية الدينية بالنسبة للسكان المسلمين واليهود .

وعندما قلت لنائب وزير الخارجية «يوسي بيلين» : وماذا عن الهوية ، وعن السيادة على القدس؟.. رد بحزم : السيادة ستكون لاسرائيل ، ويمكن للفلسطينيين أن يكون لهم السيطرة على الحياة اليومية إدارياً ..المهم أن الحرية ستكون مكفولة فى الأماكن المقدسة للمسلمين والمسيحيين واليهود فى كل البلاد- لابد أن تعرف ذلك - وإذا توصل كل طرف الي معرفة حقيقة الطرف الثانى فإن ذلك كفيل بحل أية مشكلة، والمسألة فى النهاية مسألة وقت.

قلت للسيد بيلين: أراك تتحدث بشكل حازم جداً ، ولا تبدي أى قدر من المرونة فى حديثك عن مستقبل القدس..الي هذا الحد أنتم متشددون فى هذه القضية، التقط ملاحظتى بدبلوماسية وابتسم قليلاً ثم قال: انها ليست قضية مرونة أو تشدد..فكما ترى فإن المشكلة ليس لها صورة للحل الآن بشكل نهائى وإذا كان الفلسطينيون يرون أن لديهم رؤية للحل النهائى فحسنا .. أن كل مشكلة لها حل بالطبع..فلماذا لا نترك مشكلة القدس للحل النهائى؟

يبـــدو أن المسئولين الاسرائيليون قد اتفقوا على أن تظل قضية القدس يكتنفها الغموض وأن يبقى الحديث عنها معلقاً إلى أن يأتى موعدها فى المفاوضات التى لا يعلم إلا الله كيف ستسير .. وإلى أين ستصل .. فقد لمست هذا الموقف أيضاً خلال لقائى الطويل مع «يوسي ساريد» أحد الحمائم التقدميين الاسرائيليين ، ولكن الحمائم فى اسرائيل حذرين جداً عند الحديث عن قضية القدس .. حتي ولو كان أحد هذه الحمائم فى موقع وزير مثل يوسي

ساريد الذي ما ان فتحت معه هذا الملف متسائلاً عن مصير مدينة القدس حتى تعمد اغلاقه سريعاً قائلاً : « إن القدس سيؤول أمرها للمفاوضات التى ستبدأ بعد عامين كما هو موضح فى اتفاق اعلان المبادئ ».

وحاولت ان اتعرف على وجهة نظره كمسئول اسرائيلى رفيع وينتمى الى جبهة الحمائم ، فى امكانية أن تظل القدس الشرقية تحت الادارة الفلسطينية فقال لى: من الصعب البت فى ذلك الآن .

أمام هذا الموقف الذى اتخذه المسئولون الاسرائيليون عند الحديث عن مدينة القدس ، رأيت أن يكون منفذى الي مناقشة هذا الملف مع بعض أعضاء الكنيست باعتباره أهم مؤسسة سياسية فى اسرائيل كسلطة تشريعية تتخذ القرارات فى الموضوعات السياسية وتسن القوانين ..

والغريب أننى وجدت نفس الموقف حتى من جانب من ينتمون الي جبهة الحمائم.. الكل يرجئ كل شئ الي المفاوضات حتى «ياعيل ديان» التي تراهن على السلام مع الفلسطينيين وإقامة دولة فلسطينية قريباً تحفظت فى الحديث مباشرة وصراحة عن قضية القدس وحولت دفته الي كلام عن المستوطنات متهمة الذين يروجون لبناء مستوطنات جديدة داخل القدس أنهم يعملون ضد رابين .. وقالت انه من الخطأ الاعتقاد بان اضافة البناء فى القدس يحدث في داخل الاحياء الاسلامية في شرق القدس .

ورغم أن ياعيل ديان تعترف بأن المستوطنات تشكل عقبة في مسيرة السلام والوصول الي حل لمشكلة مدينة القدس ..الا انها تقول انه ليس من المعقول ان نصل الي اتفاق بشان هذه المسالة وقبل المفاوضات التي ستوصل الي اتفاق شامل.

اما «عوفارياعيلى» وهو أحد الصقور المتشددين في الكنيست عندما سألته عن وجهة نظره في قضية القدس قال على الفور : إن القدس هى عاصمة اسرائيل ، ويجب ان نجد الطريق لضمان الوصول الي الاماكن المقدسة بصورة حرة ، ولا ننكر ان هناك اماكن مقدسة ونعلم مدي اهميتها بالنسبة للمسلمين والمسيحيين ، ويجب ان نتيح لهم حرية الوصول الي هذه الاماكن ولم يشأ السيد عوفاريا ان يخرج عن النص فقال : إن هذا الموضوع متروك للمفاوضات ...

ربما كان موقف «مائير شتريت» أحد اعضاء الكنيست البارزين عن حزب الليكود ، والذي رفض معارضة اتفاقية السلام رغم افكاره المتطرفة .. ربما كان موقفه فيه شئ من التحديد فعندما سألته عن رأيه في مصير مدينة القدس في الاتفاق الفلسطينى الاسرائيلى الذى لم يعارضه قال :

لقد عبرت عن ذلك عند التصويت ، وقلت اننى لا أعارض الاتفاق ولكن على الدولة أن تحافظ على خمسة مبادئ أو نقاط رئيسية وهى : عدم قيام دولة فلسطينية – عدم تقسيم القدس – مواصلة مرابطة قوات الجيش الاسرائيلى بصورة دائمة على نهر الأردن – ضمان أمن المستوطنات – عدم منح حق العودة الي حدود ما قبل ١٩٦٧م .

* * *

خـــــارج نطاق المسئولين واعضاء الكنيست سمعت آراءاً واضحة ومحددة.. الجنرال ابراهام تامير – أحد الشخصيات البارزة جداً فى اسرائيل والذى شارك فى كل الحروب ، ويشغل الآن منصب رئيس اللجنة الادارية لمركز الابحاث السياسية والامنية بجامعة حيفا وكاتب محترف وله مؤلفاته وكلها عن

السلام ... خلال حواري الطويل معه ذكر أكثر من مرة عبارة «حل خاص للقدس» وكان لزاما أن أطلب منه تحديد معني هذا الحل بالضبط فقال :

« فى رأيى أنه يمكن ربط القدس العتيقة بالقدس مثلما كان عليه الحال في ظل عهد الانتداب ، ويمكن للقدس الموحدة ان تأخذ عدة اشكال لكن أولاً لابد من أن نحدد حدود القدس الموحدة ، وانا أعرف أن هناك مشكلة بالنسبة لوضع الحدود للقدس القديمة وفى رأيى أن أنسب الحلول أن تكون هناك بلدية عربية وبلدية يهودية.. مدينة عربية ومدينة يهودية ، وان يكون مجلس اعلي بحكم المدينتين وليس هذا اختراعا جديداً .. فهناك مثال واقعي وهو الفاتيكان .. وهكذا حل مشكلة القدس يجب الا يكون حلاً سياسياً وانما حلاً دينياً كما قال الملك حسين .

ورأى صريح أخر سمعته من شفيق جباي محرر الشئون العربية والشرق الاوسط بجريدة معاريف الذي قال لي : « أنا شخصياً أرى أن تظل القدس مدينة موحدة يهودية فلسطينية مع بلدية موحدة عربية– اسرائيلية .. ان هذا هو الحل الوحيد لان بها اماكن مقدسة وحساسيات تهم ملايين المسلمين فى العالم ..لابد ان نفكر فى المشكلة بجدية وسنجد أن الحل كما قلت: بلدية موحدة وانتخابات موحدة وايضاً هوية موحدة وكذلك سيادة موحدة.. حتي يتمكن كل اسرائيلى أن يدخل الي القدس حيث الأماكن المقدسة ...

وأنا كصحفى وابن للبلد واعرف اللغتين العبرية العربية أقول في كل مرة أسافر الى القدس أجد انفصاماً بين القدس العربية واليهودية ، ومنذ اليوم الأول الذى بدأ ت فيه الانتفاضة وحتى الآن أرى أن هناك شعبين منفصلين.. الفلسطينيون يعيشون منفردين فى القدس العربية ، ولا أرى اسرائيليون

كثيرون هناك باستثناء الأماكن المقدسة عند حائط المبكى مثلاً، وبالعكس الاسرائيليون تجدهم في القدس اليهودية، وهناك انشقاق بالفعل.

وفي يوم التوقيع على الاتفاقية الفلسطينية الاسرائيلية شاهدنا الاعلام الفلسطينية تخرج فجأة من داخل البيوت الفلسطينية فى القدس لترفرف على المساجد والأسوار والكنائس .. وقد كان هناك احتفال خاص بفيصل الحسينى. رفع فيه العلم الفلسطينى بالقدس، ولم يتدخل أى اسرائيلى فى هذا الخصوص

* * *

وأتوقف عند هذه الكلمات الموجزة التى سمعتها من «لطيف دورى» سكرتير لجنة الحوار الاسرائيلى الفلسطينى ، وهو انسان يهودى استطاع أن يخرج من دائرة التعصب والجنوح فراح يسعى مع غيره لتحقيق السلام ، وفى حوارى الطويل معه سألته رأيه فى قضية القدس وما إذا كانت اسرائيل ستعيد القدس لاصحابها فقال : «إننى انظر دائماً بصورة ايجابية ومتفائلة إلى السلام العربي الاسرائيلى، وكما قلت فإن القاعدة هى السلام المصرى الاسرائيل .. لنأخذ هذه القاعدة ونبنى عليها .. إن السلام الاسرائيلى العربى بدأ مع السلام المصرى الاسرائيلى ، والآن وصل إلى السلام الفلسطينى الاسرائيلى ، والسلام الكامل لن يكون إلا بإقامة الدولة الفلسطينية الي جانب اسرائيل، أما قضية القدس فيجب حلها على اعتبار أن القدس الشرقية هى أرض عربية..أما القدس الغربية فهى أصلا من اسرائيل الموحدة ، وهذا هو الحل الوحيد ومن هنا نتقدم الى السلام الواقعى، وإذا تم الاتفاق مع سوريا يتحقق السلام الشامل .

كـثيـرون هم الفلسطينيون الذين التقيت بهم في رحلة « التحدى مع النفس » من قيادات رسمية وشعبية ومواطنين عاديين .. وكثيرة هى الحوارات التى دارت بيننا ووجهات النظر التي طرحت فيها .. و شملت جميع القضايا ومن بينها بالقطع قضية القدس..

وكان فيصل الحسينى من أول هذه القيادات ليس فقط باعتباره أحد مستشارى الرئيس الفلسطينى ياسر عرفات ، والرئيس الحقيقى لفريق المفاوضين الفلسطينيين فى مباحثات مدريد - وواشنطن ، ولكن لأنه قبل هذا وذاك من ابناء مدينة القدس وأحد قيادات العمل الفلسطينى فى الداخل حيث مقر إقامته الدائمة بالقدس ..

وفيصل الحسينى يعى المواقف الاسرائيلية تماماً ، ويعى بنفس القدر أن الاتفاق الفلسطينى الاسرائيلى لم يحقق كل شئ ولكنه فى نفس الوقت مقتنع بإمكانية تطوير الاتفاق ليحقق أكثر فأكثر من الأهداف وصولاً الى وجود دولة فلسطينية بأسرع مما أتوقع أنا وغيرى .. هذا ما قاله لي فيصل الحسينى ، واضاف فى رده على السلبيات والانتقادات التى يرصدها البعض فى الاتفاق حول تجزئة المرحلة الانتقالية عبر القبول بتطبيق الحكم الذاتى .. فقال : لقد كان مطلوباً منا أن يكون هناك حكم أو مرحلة انتقالية.. أى «حكم ذاتى فى مرحلة انتقالية على كل الأرض الفلسطينية يتعلق بالدرجة الأولى بالانسان وليس الأرض ، وما حصل الآن أن هذه المرحلة الانتقالية قسمت الارض الى جزئين .. جزء نبدأ فيه فوراً بالسيطرة على الأرض والإنسان سوياً ، وعلى أن نبدأ فى مد هذه السيطرة تدريجياً الى مناطق أخرى توجد لنا فيها سيطرة على مجالات أخرى فى حياة الانسان ولكنها تمتد تدريجياً لتصبح شاملة ..


القدس الشرقية - عربية

إذن بدلاً من أن نستمر سنتين نعايش حكماً ذاتيا بعيداً عن شكل الدولة فإننا سنعايش على جزء من الأراضى الفلسطينية ملامح المرحلة النهائية .. أى ملامح الدولة ... وعندما قلت للسيد فيصل الحسينى : وأين تقع مدينة القدس من ملامح هذه الدولة مع استمرار غموض موقفها فى ظل الاتفاقية ؟!..

قال : انه فى داخل المجتمع الاسرائيلى وبعض الوزراء أيضاً يتحدثون في هذا الامر .. كما بدأت قطاعات واسعة توجه الانتقادات تحت شعار القدس عاصمتان فى مدينة واحدة أو عاصمة لدولتين ، واعتقد ان مستقبل القدس هو أن تكون عاصمة مفتوحة حرة.

أما جميل الطريفى أحد أقرب مستشارى ياسر عرفات فقد تحدث معى من خلال المسئولية المنوط بها كرئيس للجنة استلام السلطة للدولة الفلسطينية الجديدة فى ظل اتفاق المبادئ ، ومن هذا الموقع أبدى اعتراضه على السؤال

الذى يطرحه البعض : لماذا أريحا عاصمة للدولة الفلسطينية الجديدة ؟ ..

وقال : إن احد لم يقل أن أريحا عاصمة الدولة .. الكل يصر على أن القدس هى العاصمة ، وأوضح الطريفى قائلاً : إننا فى ظل الاتفاق الجديد اخترنا موقعين حدودين فأولاً غزة على الحدود المصرية ، وغزة تعيش ظروفاً مأساوية للغاية.. كثافة سكانية عالية فقر وحاجة مضنية، البنية الاساسية مهدمة تماماً.. عندما عرض الاسرائيليون موضوع غزة وقالوا اتفضلوا خدوا غزة.. كان الرد من القيادة الفلسطينية إننا لانتجزأ لا الأرض الفلسطينية ولا الشعب الفلسطينى، وبالتالى إذا كان لابد لمثل هذا القرار فيجب أن تأخذ جزءاً آخر من الضفة الغربية ... ونؤكد أن الضفة والقدس وغزة هى وحدة أقليمية واحدة، وهذا ما أكدنا عليه فى الاتفاق .. حتى لو بدأنا بأريحا ، ولكن لماذا لم تكن نابلس أو الخليل؟ الحقيقة لأن أريحا منطقة حدودية سنبدأ بها ..كى تمارس القيادة الفلسطينية صلاحياتها فيها .. فبالطبع لا يجوز أن تكون محاطة بالجنود أو الجيش الاسرائيلى ، خاصة ونحن نتكلم الآن عن إعادة انتشار للجيش الاسرائيلى فى الضفة الغربية وليس انسحابا خلال الفترة الانتقالية

ثانياً : علينا أن نلاحظ أنه صحيح اتفاق مرحلى مؤقت ، ولكنه يحمل فى طياته الحل النهائى بمعنى أن هناك شيئاً اسمه انسحاب يعتمد على قرار ٢٤٢، ٣٣٨ ونص فى هذه الاتفاقية على أن الحل النهائى يجب أن يكون بتنفيذ قرارى مجلس الأمن وليس أساس قرار مجلس الأمن وتنفيذه بالانسحاب ..

ولا يختلف رأى (عبد الوهاب الدراوشة رئيس الحزب الديمقراطى العربى) وهو الحزب الذى يمثل القوة العربية الوحيدة المتواجدة على الساحة السياسية داخل اسرائيل حيث اتفق الى حد كبير مع رأى جميل الطريفى بقوله إن غزة/

أريحا أولاً ليست نهاية المطاف وإنما يتبعها ثانياً وثالثاً ورابعاً وخامساً حتى يتحقق إنهاء الاحتلال وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة إلى جانب دولة اسرائيل، وقال إن من يقرأ الاتفاق ويطلع عليه سيرى إنه سيتم انتخاب مجلس فلسطيني يبسط سيطرته الكاملة فى المرحلة الانتقالية على كافة الأراضى الفلسطينية المحتلة فى الضفة الغربية وقطاع غزة ويكون مجلساً منتخباً ، وسيشارك سكان القدس الشرقية العربية فى انتخاب هذا المجلس الذى ستكون صلاحياته على الأراضى المحتلة كافة ، وتبقى بعض القضايا الحساسة مثل المستوطنات والحدود النهائية وقضية مدينة القدس ليتم التفاوض عليها بداية من العام الثالث لاتفاقية المبادئ.

وهكذا تظل قضية القدس هى الأصعب والأشد حساسية عندما تخترق الجدران وتدخل نطاق التفاوض ، وفى هذه الحالة يستلزم ضرورة العثور على مفتاح واحد تجمع كل أسنانه وجهتى نظر الطرفين الفلسطينى العربى من ناحية والاسرائيلى من ناحية أخرى..

هكذا رأيت اسرائيل

٥

فوق الجولان تأكدت أن الاسرائيليين متميزون فى الخداع وقلب الحقائق

* *لماذا تتمسك اسرائيل بالجولان رغم أنها ليست أرضاً توراتية.*

* سكان المستوطنات :

مجنون من يتصور وجود حكومة اسرائيلية تستطيع إعادة الجولان لسوريا.

* *على الرئيس الأسد اقناع الشعب الاسرائيلى قبل اقناع الحكومة .*

في شهر يناير ١٩٩٤م.. احتلت سوريا مرة أخرى مكان الصدارة فى عملية السلام فى الشرق الأوسط بلقاء الرئيس السورى حافظ الاسد والرئيس الامريكى بيل كلينتون ، وبهذا اللقاء منحت الولايات المتحدة الامريكية الرئيس حافظ الاسد اعترافا رسمياً بدوره المهم فى المنطقة من أجل مواصلة المشوار للوصول للسلام الشامل والعادل والدائم فى المنطقة ، وتكررت نفس المحاولات خلال الشهرين الماضيين .. فهل حققت هذه المحاولات الهدف المرجو منها ؟..

وهل اقتربت المسافات بين وجهتى النظر السورية والاسرائيلية للتوصل الى اتفاق على أساس قرارى ٢٤٢ ، ٣٣٨ واللذان يقضيان بانسحاب اسرائيل من الآراضى المحتلة فى عام ١٩٦٧م تحقيقاً لمبدأ الأرض مقابل السلام، وهو المبدأ الذى ترتكز عليه أى تسوية سلمية بالنسبة لسوريا؟..

إننى هنا لست بصدد محاولة الاجابة على هذين السؤالين أو غيرهما من الأسئلة التى تدور فى هذا الاطار لأن هذا الأمر فى تقديرى ما زال سابقاً لأوانه خاصة أن لقاء الأسد وكلينتون لم يضع النقاط فوق كل الحروف الحائرة والمعقدة بالنسبة لمسألة الأرض مقابل السلام ..أى انسحاب اسرائيل الكامل من الجولان حتى يتحقق السلام مع سوريا .. فهذا الانسحاب تواجهه عقبات وتعقيدات كثيرة خلقتها اسرائيل ولا تريد التراجع عنها ..

ولكن لماذا وكيف وصلت مشكلة الجولان الى هذا الحد من التعقيد؟!

هذا هو السؤال الذى رحت أبحث له عن اجابة خلال رحلة التحدى مع النفس فى الأراضى المحتلة ، ومن فوق هضبة الجولان نفسها قبل سفرى الى اسرائيل وفى لقاء مع الدكتور مصطفى خليل رئيس وزراء مصر الاسبق والذى يعتبر مهندس العلاقات المصرية الاسرائيلية، وأحد كبار الخبراء فى شئون منطقة الشرق الأوسط .

أوضح فى حديثه معى أن قرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ الذى تتحدث عنه سوريا دائماً وتتخذ موقفها على أساسه..هذا القرار لم يحدد المعنى المقصود بالسلام ، واسرائيل تفسر معنى السلام بأنه عدم حدوث إعتداء بين الدولتين وهو تفسير صحيح حسبما قال لى المتخصصون فى القانون الدولى، وهكذا أصبحت المشكلة هى الاختلاف فى تعريف معنى السلام .. سوريا تفسره أنه يعنى الانسحاب الكامل من جانب اسرائيل ، واسرائيل تطالب بضمانات للأمن وأول هذه الضمانات تطبيع العلاقات وتبادل السفراء.

وإذا كان مؤتمر مدريد عقد على أساس السلام مقابل الأرض إلا أنه لم يتم تعريف السلام كما لم يتم تحديد الأرض ، ومن هنا قالت اسرائيل

الانسحاب بالجولان وليس من الجولان ، وعندما تناقشت مع مختلف القيادات الاسرائيلية فى هذه المسألة وطلبت منهم توضيحاً لمدى الانسحاب قالوا إننا لا يمكننا الافصاح عن مدى الانسحاب قبل أن نعرف مدى السلام.

وأضاف الدكتور مصطفى خليل قائلاً : اننى اعتقد ان الاسرائيليين يرغبون فى الاتفاق مع سوريا ولكن المشكلة من يبدأ أولاً .. سوريا أم اسرائيل، وفى واقع الأمر فإن الجولان ليست جزءاً من الآراضى التوراتية التى تطالب اسرائيل بها كما انها لا تهم الاسرائيليين ، ومن خلال مناقشاتى مع القيادات الاسرائيلية أرى انهم على استعداد للانسحاب من الجولان ولكن ليس قبل أن توافق سوريا على اتفاق أمنى وشامل مع اسرائيل ..

عندما التقيت فى القدس «بيوسى بيلين» نائب وزير خارجية اسرائيل، وسألته عن سبب إصرار اسرائيل على عدم الانسحاب من الجولان خاصة وانها ليست جزءاً من الأراضى التوراتية التى تطالب بها اسرائيل .. قال: إن المشكلة مشكلة أمن وليست مشكلة أرض توراتية ، ولابد لنا جميعاً أن نتذكر أنه بعد حرب ١٩٦٧ فإن الحكومة الاسرائيلية اعلنت استعدادها للرجوع الي الحدود الدولية قبل ٦٧مقابل السلام وقوبل هذا التعهد (بلاءات الخرطوم) .. لذلك لا يمكن أن تتخذ اسرائيل مبدأ عدم الانسحاب من الآراضى المحتلة بعد ٦٧ وليس من العدل اتهامها بذلك .. اننا نريد السلام وانسحابنا من كل الآراضى التى احتلت بعد ٦٧ هو أمر سهل جداً خاصة أن معظم الرأى العام الاسرائيلى ينظر إلى هضبة الجولان باعتبارها مهمة جداً من أجل أمن اسرائيل وليس من منظور كونها أرض توراتية أو غير توراتية أو ايديولوجية، ولكن لابد لكى ننسحب من الجولان أن نتوصل الى اتفاقية سلام مع سوريا..

إن الجولان الآن جزء من دولة اسرائيل ، وعلى الرغم من ذلك فإن حزب العمل يصرح لأول مرة بلسان رئيس الحكومة حيث قال : «لن نتمسك بالجولان ويمكن الانسحاب منها بشرط السلام» لابد أن يتمسك الرئيس الأسد بهذه الصيغة لأنها فرصة جيدة بالنسبة له ، ولو كنت مكانه لتشبثت بهذه الفرصة .. ان المشكلة ان الرئيس الاسد لم يقل انه مستعد للسلام مع اسرائيل ..

قلت لنائب وزير الخارجية : بالعكس فان الرئيس الاسد أعلن أكثر من مرة استعداده للسلام .. السلام الذى يعيد الجولان لاصحابها وكذلك الاراضى المحتلة الأخرى ..

قال بيلين : المشكلة تتمثل فى أن الرئيس الاسد لم يقل لنا تفسيره للسلام.. انه يتحدث عن الانسحاب فقط ، وهويريد تفسيرات اسرائيلية واضحة بالنسبة للانسحاب ولا يأتى بتفسيرات واضحة لهذا السلام ، ومن هنا فإن سوريا هى التى تخلق موقفاً صعباً فى طريق السلام ولسنا نحن

والواقع يؤكد أن التعقيد الشديد لوضع هضبة الجولان فى التسوية لا يرجع الى تداخل عوامل كثيرة فى عملية التفاوض حولها ، وذلك على الرغم من ضم اسرائيل لها عام ١٩٨١ وموافقة الكنيست فى ١٩٩١/١١/١٢م على مشروع قانون يطالب الحكومة الاسرائيلية باستبعادها من مباحثات مدريد ، لكن يرجع هذا التعقيد الي اهميتها الاستراتيجية الحيوية لكل من أمن سوريا وأمن اسرائيل في نفس الوقت ، لا سيما فى ظل التوازان المتقارب نسبياً فى عناصر القوة العسكرية للجانبين ، وهو ما يجعل للاعتبارات الجغرافية أهمية كبيرة ، وبصرف النظر عن أى اعتبار سياسى أو أمنى فإن الجولان أرض سورية تحتلها اسرائيل ، ومن المحتم عودتها الى الحظيرة السورية ..

ومن وجهة النظر الاسرائيلية السائدة ، فإن الجولان تمثل خطا دفاعياً متقدماً لمستوطنات سهل الحوله ، وسهل الأردن يمكنها من التعامل مع أية هجمات عسكرية برية بعيداً عن الآراضى الاسرائيلية ، كما توفر الهضبة المرتفعة لاسرائيل فترة إنذار مبكر تصل الي عدة دقائق فى حالة الهجوم الجوى السورى ، وعدة ثوانى في حالة هجوم صاروخى ضد اسرائيل ، وباختصار.. فان التخلى عن الجولان وعودة القوات السورية للتمركز بها قد يعرض اسرائيل - من وجهة نظرها - لهجوم مفاجئ يعرض أراضيها للخطر كما حدث خلال الايام الاولى من حرب اكتوبر ١٩٧٣م .. فهضبة الجولان كما يقول رئيس الاركان الاسرائيلى «ايهودا باراك» تعد ثروة أمنية من الدرجة الأولى بالنسبة لاسرائيل ..

أما بالنسبة لسوريا فانها ليست فى حاجة للحديث عن أهمية الجولان الامنية لها فهى أراضيها ، وهناك قرار لمجلس الأمن ٢٤٢ يرتب ما يجب التوصل اليه بشأنها ، وكانت سوريا قد أعدت منذ حوالى عامين مقترحات تفصيلية لترتيبات أمنية للجولان تعتبر كافية من وجهة نظرها لضمان الأمن الاسرائيلى بصورة مقبولة تماماً إذا قبلت اسرائيل مبدأ الانسحاب الشامل من الجولان وتستند تلك الترتيبات على إقامة مناطق منزوعة السلاح فى الهضبة ، وعلى الجانبين السورى والاسرائيلى بشكل متكافئ وإقامة محطات انذار مبكر متطورة على الجانبين بما يسمح لاسرائيل بصد أى هجوم سورى قبل وصوله الى ما وراء نهر الأردن هذا بالاضافة الى ضمانات أخرى كفيلة بمنع أية عمليات تسلل تتم من الاراضى السورية باتجاه شمال اسرائيل ..

ان مناقشة عقلانية لمسألة الجولان يمكن أن تظهر مدى المبالغة

الاسرائيلية فى أهميتها الأمنية بالنسبة لها .. فعمق الجولان الحالى نفسه ٣٠ كيلو متر لايمكنه منع صواريخ المدفعية السورية من الوصول لشمالى اسرائيل، كما ان اسرائيل تقوم ببناء مستوطنات تقع فى مدى المدفعية الميدانية السورية ، والواقع أن تعقيد تلك المشكلة مرتبط بمدى تعقيد عملية التسوية بين سوريا واسرائيل بما تضمنه من عناصر مختلفة .. إذا لماذا كل هذا التعقيد الاسرائيلى لقضية الجولان ؟.. ولماذا الاصرار على عدم الانسحاب من الجولان واعتبارها ثروة أمنية من الدرجة الأولى بالنسبة لاسرائيل ؟!!.

بعيداً عن تبريرات السياسيين والمسئولين الاسرائيليين الذين التقيت بهم فى الاراضى المحتلة أجدنى استرجع تلك الكلمات التى سمعتها فى مبنى الكنيست وبالتحديد فى مكتب عضو حزب الليكود الياهو بن اليسار عندما قال:« بالنسبة للجولان.. الجولان لم يشمله الانتداب البريطانى ولذلك لايمكن اعتباره جزءاً من أراضى اسرائيل الغربية .. لكن سوريا اعتدت على اسرائيل عدة مرات ، وقد استعملت الجولان قاعدة للعدوان ضد اسرائيل ، وخسرت الجولان ، ولا يمكن أن تأتى سوريا اليوم وتقول أنا أخطأت فى الماضى مع شديد الأسف .. أعيدوا لنا الجولان ، بصراحة أنا لا أثق بسوريا ولا مناص لنا من الدفاع عن أنفسنا عن طريق التمسك بالجولان».. وأربط بين هذه الكلمات وهذا الحوار الذى دار فوق هضبة الجولان بينى وبين رجل اسرائيلى من سكان احدى المستوطنات فى الجولان قال الرجل : إن اقامة المستوطنات فى الجولان هو أحد اجراءات الأمن وأقول لك صراحة هو نوع من أنواع فرض الأمر الواقع.. لقد كانت سوريا تهددنا من فوق هذه الهضبة التى قمنا بضمها لنا لدواعى الحماية والأمن ..

– قلت الآن هناك محاولات جادة للسلام الشامل فماذا سيكون موقفكم إذا تحقق مثل هذا السلام على أساس إعادة الجولان لسوريا مقابل انهاء الصراع بين الدولتين ؟.. ضحك وقال : من المجنون الذى يتصور أنه توجد فى اسرائيل حكومة تستطيع أن تقدم على هذه الخطوة .. لقد أخذنا الجولان بعد أن دفعنا ثمناً غالياً فى الحرب فكيف يأتى اليوم من يطالب بإعادة الجولان لسوريا بالسلام ، وأردف قائلاً : هذا كلام فارغ يقوله السياسيون ، وهم فى النهاية لا يملكون كل شئ ..

خرجت من المستوطنة ، وفى السيارة قلت لمرافقى الذى اصطحبنى فى زيارتى للجولان .. إن هذا الرجل من المتشددين .. اليس كذلك ؟.. قال بالعكس ما سمعته من هذا الرجل هو ما يقوله كل الاسرائيليين متشددين وغير متشددين .. ألم تر اللافتات التى تطالب الحكومة بعدم إعادة الجولان لسوريا تملأ كل مكان .. على الحوائط والصدور والسيارات ، وفوق الدراجات وعلى جذوع الشجر .. قلت ولكن ما قيمة بضعة آلاف من اللافتات فى مقابل قضية حيوية ومهمة لأمن اسرائيل ومستقبلها؟..

قال يا عزيزى :الرأى العام هنا غيره فى أى بلد آخر الحكومة لاتستطيع أن تبتعد كثيراً عن رأى الشارع وإلا سقطت .. هذه هى اسرائيل.

وأقول بينى وبين نفسى هذه هى اسرائيل التى تنكر الحق على أصحابه وتستحقه لنفسها مستندة إلى دعاويها الباطلة .

لقد احتلت اسرائيل الجولان عام ١٩٦٧م ، وفى أعقاب هذا الاحتلال حاولت خلق حقائق استيطانية بشكل مكثف ..

فقد بدأ النشاط الفعلى للاستيطان الاسرائيلى فى الجولان عندما أقامت اسرائيل أول مستعمرة أو مستوطنة لها في الآراضى العربية المحتلة سنة ١٩٦٧م.

ففى ١٦ يوليو سنة ١٩٦٧م شرعت اسرائيل فى بناء مستوطنة «ميرومهجولان» على أرض المرتفعات السورية المحتلة ، ويلاحظ أن هضبة الجولان بالذات قد أخضعت منذ أن احتلتها القوات الاسرائيلية لعملية الاستيطان بطريقة مكثفة فى محاولة من اسرائيل لتهويدها .

خلال زيارتى لهضبة الجولان لاحظت أن طريقة توزيع المستوطنات فى أرجاء الجولان ذات طابع عسكرى ، والذى يمثل دوراً بارزاً من استراتيجية الاستيطان الاسرائيلى حيث نرى أن هذه المستوطنات تتمركز فى نطاقيين أساسيين .. النطاق الأول يمتد على شكل قومى يبدأ من سفوح جبل الشيخ قرب مدينة «بانياس» السورية ثم يسير بمحاذاة خط وقف اطلاق النار فى ١٠/٦/١٩٦٧م.. على امتداد المحور الرئيسى أى على طريق مسعدة - القنطرة - الرفيد - الحمة.

ويتمركز النطاق الثانى فى جنوب غرب الجولان وذلك عند حدود ٤ يونية سنة ١٩٦٧م بمحاذاة الشواطئ الشرقية لبحيرة طبريا، ومما يدل أيضاً على أهمية العامل العسكرى فى استيطان هضبة الجولان .. طبيعة تكوين هذه المستعمرات وطبيعة تحصينها وموقعها الاستراتيجي ، وقد علمت من مرافقى ان معظم هذه المستوطنات تنتمى الى نوع «ناحال» أى مستوطنة شبه عسكرية.. وتسعى اسرائيل دائماً إلى تبديد مخاوف المستوطنين اليهود وذلك عن طريق تكثيف عمليات الاستيطان ودعمها مادياً ومعنوياً وبشرياً... وقد اتخذ

الاستيطان الاسرائيلى فى الأراضى المحتلة شكلين أو مؤسستين رئيسيتين هما : «الكيبوتس» و«الموشاف» ..

الكيبوتس : هى مستوطنة أو مستعمرة جماعية يتراوح عدد سكانها ما بين ثلاثين الى ١٥٠٠ شخص ، وتعود الملكية الى الجماعة المستوطنة ككل وليس فيها أية ملكية فردية ، ولما كانت الأرض فى الكيبوتس ملكية عامة فإنها توزع على المستوطنين فيها بموجب سند إيجار رسمى ، ويقوم الكيبوتس على التكامل فى الخدمات وتتسم العلاقات بين المستوطنين بالمساواة التامة فى الانتاج والاستهلاك والتعليم .ومفهوم الكيبوتس مستمد فى الأساس من المبدأ الاشتراكى الذى يهدف إلى إنشاء مجتمع بلا نقود ..

أما «الموشاف» : فهى قرية تعاونية أو مستعمرة أو مستوطنة حيث تعود الملكية فى الجماعة للأفراد .. أى أن الأرض ملكية عامة ولكنها توزع بالتساوي على العائلات فى المستوطنة ، وفى الموشاف يمنح العمل بأجر فى المزارع ويخطط العمل بشكل يمكن أفراد العائلة فى انجاز العمل وحدهم ويتم تسويق الانتاج تعاونياً، والحياة فى الموشاف أخف مما هى عليه فى الكيبوتس لأن لكل عائلة وحدة استهلاكية وسكنية مستقلة وتختلف معدلات الدخل بين العائلات، ولكن الملاحظ أن الكيبوتس نال شهرة أوسع من الموشاف وذلك بسبب وضعه الدفاعى والعسكرى والأمنى .

إن معالم الجغرافيا تقول أن هضبة الجولان تقع فى الزاوية الجنوبية الغربية من سوريا ، وتسقط حافة الهضبة الغربية بجرف عال وشديد الانحدار على أرض سهل الحولة وطبريا .. ويفصل نهر اليرموك بين هضبة الجولان وبين الأردن من ناحية الجنوب .. أما من ناحية الشرق فإن الهضبة لا تعتبر حائلاً

أمام المتجه إلى دمشق .. بينما فى الشمال يقف جبل حرمون منتصباً .. وتقدر مساحة هضبة الجولان بحوالى ١٧٠٠ كيلو متر مربع تحتل منها اسرائيل حالياً ١٥٠٠ كيلو متر مربع ..

ولأن هضبة الجولان مفتوحة من جهة الغرب على سهول فلسطين الشمالية وعلى جبالها فهى قريبة من البحر المتوسط ولذلك تصلها بسهولة الرياح المطرة ، سواء الرياح الغربية أو الرياح الجنوبية الغربية .. الأمر الذى يرفع درجة الرطوبة النسبية للجولان .. ولذلك فإن الرطوبة دائماً لا تنخفض عن ٤٨٪ صيفاً بينما تصل فى الشتاء الى ٨٣٪ .

أما تاريخ هضبة الجولان فيقول إن موقع الهضبة جعلها ممراً مهماً واستراتيجياً بين سوريا وفلسطين ولذلك حاولت الشعوب التى استوطنت هذه المنطقة أن تسيطر على هذا المر الحيوى ...من الغريب جداً أن اسرائيل تدعى أن هذه المنطقة لم تكن مأهولة بالسكان .. رغم أن الوثائق التاريخية القديمة تؤكد أنها من المناطق المأهولة بالسكان منذ القدم وحتى العصور الحديثة ..

فقد عاش فى الجولان فى الفترة التى سبقت مجئ العثمانيين اعداد من القبائل العربية التى وصلت فى الفتح الاسلامى ، وامتزجت هذه القبائل بالعرب من الغساسنة واللخميين وبقايا الأنباط .

وفى نهاية القرن الماضى ، ومع بداية العهد العثمانى قام العثمانيون بتسكين مجموعات من المسلمين القفاسين والطورانيين الى جانب السكان الأصليين ، وامتزج هؤلاء الوافدون الجدد بالسكان الأصليين من العرب .. وأصبحوا جميعاً يتكلمون العربية..الأمر الذي يؤكد أن سكان هضبة الجولان من العرب ، حتى من قبل أن يفكر أى يهودى صهيونى فى القدوم الى فلسطين

بعد هذه الوقفة مع وقائع وحقائق التاريخ والجغرافيا أعود مرة ثانية إلى أرض الواقع من فوق هضبة الجولان التى قضيت فيها يوماً كاملاً أتفقد أراضيها الخصبة واتنفس هواءها النقى .. انتقل من مستوطنة الى أخرى وأتحاور مع سكان المستوطنات وتجمعات الكيبوتس والموشاف وفى نفسى غصة كبيرة من اللحن الشاذ الذى يعزفونه جميعاً ويعلقون النوته الموسيقية له على حوائط (لاالعودة الجولان).

كانت دهشتى كبيرة .. كيف تم إنشاء كل هذه التجمعات والمؤسسات فى الطريق الى الجولان وفوقها .. فالاحصائيات تقول إن اسرائيل قد أقامت فى الجولان أكثر من أربعين مستوطنة يسكن فيها قرابة ١٥ ألف اسرائيلى رغم الاعتراضات الدائمة للسكان العرب والاضرابات العديدة التي قاموا بها.

من أقدم هذه المستوطنات مستوطنة «حيروم هجولان» وتعتبر أول مستعمرة أو مستوطنة اسرائيلية أقيمت فى الجولان وتألفت قواتها الاستيطانية الأولى من المستوطنين الذين وفدوا من مستوطنات الجليل بفلسطين حيث سكنوا فى البيوت المهجورة فى قرية العليقة فى ١٩٦٧/٦/١٦م ثم انتقلت فى مارس ١٩٦٨م إلى معسكر سابق للجيش السورى شمالى غربى القنيطرة وقريباً من قرية نفسخ ، ولكن ما لبث أن انتقلت فى سنة ١٩٧٢م الى موقعها الدائم فى غربى جبل بنطل .. تكلفت ١٧ مليون ليرة اسرائيلية.

ويعمل المستوطنون فيها بالزراعة وبها مصنع للبلاستيك وكذلك الصناعات الانشائية ، وتبلغ مساحة المستوطنة ٥٠٠و٤ دونم ، فيها ٥٠٠و٢ دونم للزراعة ومساحة للمراعى تقدر بحوالى ٣٣ ألف دونم ..

أما مستوطنة «شفير» فقد تأسست ركيزتها فى ١٩٦٧/٨/١٤م فى شمالى مرتفعات الجولان السورية حيث تقع بالقرب من نبع بانياس بجوار خط الهدنة وقريتى تل العزيزيات وتل الحمرة فى المنطقة المجردة من السلاح ، غير انها تحولت فى اكتوبر ١٩٦٨الى الكيبوتس.يتبع حركة الكيبوتس القطرى- ميام

وتبلغ مساحتها حوالى ٢٠ ألف دونم للمراعى ، ٢٠٠٠ دونم للزراعة ، ويعتمد اقتصادها على الزراعة المتطورة وتربية الماشية والدواجن كما أن هناك بعض الصناعات الغذائية ومعملاً لأدوات التدفئة .

وهناك ايضاً مستوطنة «افيك» التى اقيمت فى ١٩٦٧/١٢/١٧م باسم «ناحال هجولان» حتى عام ١٩٧٢ واصبح اسمها افيك .. ثم تم نقلها فى ربيع ١٩٧٣ الي موقعها الدائم الى الغرب قليلاً فى عمق المرتفعات السورية هذا وتم توسيعها حيث تشغل مساحة من الأرض تبلغ حالياً ٤٥٠٠ دونم وتعتمد فى اقتصادها على الزراعة المتطورة وتضخ المياه اليها من بحيرة طبريا فى فلسطين المحتلة ..

وهناك أيضاً شاهدت مستوطنة «مرفوحمة» التى انشئت كنقطة «ناحال» فى ١٩٦٨/١/٢٢م فى جنوب الهضبة السورية عند حمامات الحمة فى بادئ الأمر ثم نقلت الى موقع أعلى يشرف على بحيرة طبريا فى يونيو ١٩٦٨م على أراضى قرية الحمة قرب الموقع السورى القديم المسمى - مزرعة عز الدين- وبعد الانتقال تحولت الى كيبوتس تابع لكتلة مبادئ من حزب العمل الاسرائيلى وتقدر المساحة التى تقوم عليها هذه المستوطنة بحوالى ٤٥٠٠ دونم بالاضافة الى تخصيص مساحات شاسعة للرعى ، وتقع شمال شرقى المستوطنة وتقدر بحوالى ٢٥٠٠٠ دونم .

ويعمل المستوطنون بالزراعة المتنوعة ، وأنشئت بعض الصناعات الألكترونية سنة ١٩٧٥م ، ويشارك قسم من المستوطنين بعض الكيبوتسات في المنطقة في إدارة حمامات الحمة الساخنة المعدنية ، وتضخ المياه اليها من بحيرة طبريا بفلسطين .

وتعتبر مستوطنة «رامات معشيميم» أكبر المستوطنات في الجولان حيث تبلغ مساحتها ٥٠٠و٤ دونم ، كما انها أولى المستعمرات المتدينة في الجولان، وقد اقيمت ركيزة هذه المستوطنة كنقطة - ناحال في ٥ يوليو ١٩٦٨م في جنوبي شرق الجولان بالقرب من المنطقة المجردة من السلاح ثم تم نقلها الى مركز جديد يقع في شمالي شرق قرية «فيق» إلا أنها تحولت في ١٩٧٢م الى موشاف تعاوني - تتبع الحزب الديني القومي - المفدال - وتعتمد المستوطنة على الزراعة وخاصة التفاح ، وفيها معهد دين« يعرف باسم «جولان للدراسات النظرية» ..

إن مستوطنة «عاد العال» التي اقيمت سنة ١٩٦٨م ..على أراضي القرية العربية «العال» المصادرة وتقع جنوب الجولان وعلى بعد ١٦ كم شمالي الحمة- وظلت ناحال حتى مايو ١٩٧٣ حين تحولت الى موشاف بعد تأسيسها وفي الربع الأخير من ١٩٧٣م تحولت الى مستعمرة دائمة من فئة موشاف حيث شيدت فيها المباني الدائمة، واستوطنتها نواة من الفتيات والفتيان الذين أنهوا الخدمة العسكرية وينتمون الي حركة الموشافيم،وكان عددهم في البداية ٣٠، ٤٠مستوطناً، ويذكر أن المستوطنة هذه سميت «العال» نسبة الى القرية العربية التي تأسست على أراضيها إلا أن الاسم تحول الي ايلي عاد وذلك نسبة الى

ايلى كوهين الذى تم إعدامه فى دمشق بعد أن اكتشفت سوريا أنه جاسوس

ونصل الى مستوطنة «راموت» التى تأسست سنة ١٩٦٨م .. فى شمال وادى البطيحة السورى ثم توسعت وتحولت الى مستوطنة دائمة فى فئة الموشاف سنة ١٩٧٣م .. وأصبحت تتبع حركة الموشافيم .

وهى تطل على بحيرة طبرية بالقرب من قرية «كفر عقب» وبنيت بيوتها الخشبية على شكل مثلثات .. ويشكل نواة هذه المستوطنة المهاجرون الروس وهم أعضاء نواة عالية ٧٠ - وجميع هؤلاء من الأكاديميين.. وتعتمد على الزراعة والسياحة ومساحتها ٠٠٠و٤ دونم ..

أما مستوطنة «رامات شالوم» فقد اقامها يهود قدموا من الولايات المتحدة الامريكية وبعض دول أوروبا فى ١٩٦٩/٤/٢٣م ، وتقع فى شمالى الجولان على المنحدرات الجنوبية الغربية لجبل الشيخ ، بنيت على قرية حيات الزيت العربية بالقرب من قلعة النمرود على هضبة يبلغ ارتفاعها حوالى ١٠٠٠م .. وكانت هذه المستوطنة قد هدمت من قبل مجموعة من الفدائيين الفلسطينيين ثم بنيت مرة ثانية ١٩٧٥م .. ثم تحولت الى موشاف تعاونى تابع لحركة (عوفيو هتسيونى) أى العامل الصهيونى .. وتعتمد على السياحة الشتوية لأنها مركز من المراكز الشتوية فى سفوح جبل الشيخ السياحية ، ومساحتها ٤٠٠ دونم مزروعة باشجار التفاح .

* * *

فى طريق العودة تعاودنى الغصة وأنا أشاهد هذه اللافتات المعلقة على الحوائط والتى تطالب بعدم عودة الجولان الى اصحابها وأتذكر هذا الحديث

الذى دار بينى وبين عضو الكنيست « مائير شتريت» احد اقطاب الليكود عندما أكد ان الانسحاب من الجولان يعد خطراً كبيراً على اسرائيل .. ثم قال :

« إن طريقة تصرف الرئيس الاسد خلال السنوات الماضية تجاه اسرائيل يجب الا تجعله يتطلع باننا «سننزل غدا من الجولان».. اننى ارى انه لا مانع من الانسحاب من الجولان واعادتها كاملة لسوريا ، ولكن بعد خمسين سنة من حالة استقرار السلام، وليس لدينا مانع ان ندفع للسوريين اجر استهلاك عن فترة الانتقال هذه « ٥٠ سنة» .. ثم عاد يقول : إن هضبة الجولان تشكل نصف فى المائة من مساحة سوريا وبالتالى فانها لاتعد موضوعاً يستحق كل هذه الأهمية ..»

أثارنى بشدة رأى «مائير شتريت» فقلت له : إن لدينا أموالاً كثيرة لماذا لا تؤجرون لنا تل أبيب ؟.. قال وقد صنع ابتسامة ساخرة على شفتيه : الأمر مختلف هنا فأنا لم أطالب بدمشق .. وأردف قائلاً : عندما نتفاوض مع شخص فلا يجب أن تطلب (عينه) لكن أطلب فقط بعض الشعيرات من رأسه ..

وتتحرك على شفتى ملامح ابتسامة يلحظها مرافقى .. وسألنى عن سببها فقلت له: السبب هذه اللافتات التى تطالب الحكومة بعدم إعادة الجولان وباستمرار الاسرائيليين على دعواهم الباطلة التى لن يكون لها إلا نتيجة واحدة هى أن السلام لا يمكن أن يتحقق وبما يعنى أنكم تسبحون عكس كل التيارات حتى ضد حكومتكم التى بدأت تسير فى اتجاه السلام .. قال : ألم أقل لك من قبل أن هذه هى اسرئيل ؟!..

ومن أجل هذه الخاصية استطاعت أن تستمر وسط جيران يريدون التهامها والقاءها فى البحر ، وفى ظل وجود دولة مثل إيران تعمل كل ما فى

وسعها للقضاء على اسرائيل وتصدر اليها الارهاب .. دفعني هذا الرد الى أن أسأل مرافقي : بصراحة لماذا أنتم مكروهين من الدنيا كلها .. من النازيين فى الماضي والآن من العرب وايران كما ذكرت؟!..

صمت الرجل قليلاً ثم قال : لا أعرف .. ليس لدى تفسير لكن ربما لأننا متميزون! .. وهكذا كشف هذا الوصف عن العقدة الكامنة فى نفوس الاسرائيليين والتى تعبر عن المشكلة الحقيقية التى يعانون منها..

حقاً انهم متميزون فى الخداع وقلب كل الحقائق .

وفى ختام هذه الجولة فوق الجولان .. وبعد كل ما شاهدت وما سمعت من مواقف متشددة تجاه هذه القضية أجد بعض العزاء فى الكلمات التى قالها لى السفير محمد بسيونى سفير مصر فى اسرائيل عندما التقيت به في مكتبه بتل أبيب وقلت له : ان التمسك بالجولان مسألة لاحظتها فى كل تصريحات الساسة الاسرائيليين من الليكود والعمل الذين التقيت بهم وأيضاً الشارع الإسرائيلى ممثلاً فى رأي المواطن الاسرائيلى أو اللافتات الكثيرة التى تقول لا لعودة الجولان .. ألا ترى أن التمسك الاسرائيلى يمكن أن يمثل عقبة أمام إحلال السلام على المسار السورى ؟!

قال : دعنى أذكرك بتصريح موشى ديان عندما بدأت المباحثات مع مصر.. لقد صرح بأن شرم الشيخ أفضل لاسرائيل من السلام ، أى أن الاحتفاظ بشرم الشيخ بدون سلام أفضل من سلام بدون شرم الشيخ .. كما صرح بيجين بأنه لا يمكن التخلى عن المستوطنات فى سيناء ، والآن أين شرم الشيخ واين المستوطنات فى سيناء .. هذا جانب .. والجانب الآخر ان اتفاقية اعلان المبادئ وقعت يوم ١٣ سبتمبر فى واشنطن ووقع فى نفس اليوم الاعتراف المتبادل بين

اسرائيل والمنظمة ولو أن انسانا سأل الرأى العام الاسرائيلى ، وسأل الحكومة الاسرائيلية قبل توقيع الاتفاق بيوم واحد.. هل يمكن ان يتم اعتراف متبادل مع المنظمة .. لكان قد حدث انفجار واستنكار شديدان .. فقد كانت فكرة الاعتراف المتبادل مرفوضة تماماً.. فضلاً عن التحدث مع المنظمة .. صحيح أن هناك أغلبية تنادى بعدم الانسحاب من الجولان ..وهناك ايضاً أعضاء فى الكنيست من حزب العمل ينادون بعدم الانسحاب .. لذلك لابد أن يقتنع الرأى العام الاسرائيلى بجدية سوريا فى السلام .. لأن الرأى العام له أهمية كبيرة فى اسرائيل ..

والرئيس السادات كان بعيد النظر عندما تمكن من اقناع الشعب الاسرائيلى بالسلام قبل توقيع الاتفاقية وقبل أن يقنع الحكومة الاسرائيلية .. حتى أنه عند التصويت على الاتفاقية كان تأييد المعارضة أكثر من الحكومة.. وهذا هو الذى ساعد الليكود .. على التوصل لاتفاقية السلام المصرية الاسرائيلية ..

فالرأى العام الاسرائيلي اذا وضعت امامه خطة كاملة تجيب على استفساراته التى تتمثل فى : ماذا تعنى سوريا بالسلام الكامل وما هى الترتيبات الأمنية التى تكفل الحماية للمواطن الاسرائيلى عند اعادة الجولان لسوريا ..فان الاغلبية التى تعارض الاتفاق مع سوريا والانسحاب من الجولان سوف تصبح اغلبية ايضاً ولكنها مؤيدة للانسحاب منها

والآن وبعد ان راهنت الأطراف المعنية على أن مشكلة عودة الجولان تمثل العقبة الكبرى فى طريق السلام فإن الأحداث التى شهدتها الشهور الأخيرة قد دفعت بالقضية إلى آفاق أرحب خاصة أن وساطات مكثفة يقوم بها

الرئيس حسنى مبارك من ناحية لتقريب وجهات النظر بين سوريا واسرائيل لايجاد حل يرضى الطرفين ، ويحقق السلام الشامل بالمنطقة ..

كما أن جهوداً مماثلة تبذلها أمريكا من خلال وزير خارجيتها كريستوفر بدت معها ملامح اتفاق سوف تشهده الشهور القليلة القادمة .

من ناحية أخرى فإن حكومة ائتلاف العمل برئاسة رابين تسعى بكل دأب لانهاء مشكلة الجولان حتى ترتفع أرصدتها فى الشارع الاسرائيلى قبل الانتخابات القادمة حيث أن تحقيق السلام الشامل مع كافة الأطراف العربية سوف يدعم ولاشك هذا الائتلاف الحاكم فى اسرائيل فى مواجهة حزب الليكود المتشدد والذى ينتظر كبوة فى المباحثات.

من ناحية أخرى فإن بعض المراقبين يرى أن اتفاق غزة أريحا وكذلك الاتفاق الاردنى الاسرائيلى قد أضعف الموقف السورى على الرغم مما يبديه من تماسك.. فقد فقدت سوريا بهذين الاتفاقين أوراقاً كان يمكن أن تلعب بها فى تفاوضها مع اسرائيل .

ويبقى أن الأسابيع والشهور القادمة ستشهد تركيزاً كبيراً على الجولان تلك البقعة الغالية من أرضنا العربية ، والتى ما تزال اسرائيل تناور فى إعادتها إلى ابنائها ..

هل يغرق السلام فـــى بحر المستوطنات؟

* الاستـــيطان من أهم دعـــائم المشـــروع الصهيونى .

* المستوطنات فشلت على المســـتـــوى الانسانى .

* كـيف سيـحل بيـريز المشكـلة التى ســـاهم بنفسه فى تضخيمها .

«السلام.. كاد أن يغرق فى بحر المستوطنات»

هذه العبارة قالها رئيس دولة اسرائيل عايزرا وايزمان خلال لقائى الطويل معه عندما سألته عن أصعب مراحل المفاوضات أثناء اتفاقية السلام مع مصر .. قال وايزمان : « إن هذه القضية كانت واحدة من أهم نقاط الخلاف التى قلبت الموازين على رأس اسرائيل..

فالولايات المتحدة استنكرت بشدة بناء مستوطنات جديدة .. بل إنهم وصفوا هذا المنهج بأنه منهج حقير وخدعة مكشوفة.. تحاول بها اسرائيل خداع الولايات المتحدة .. حتى الصحافة الأمريكية راحت هى الأخرى تهاجم بناء المستوطنات بأيعاز من البيت الأبيض .. ثم موقف الغرب كله .. كان أيضاً ضد بناء المستوطنات..»

كل هذا جعل السادات يكسب مزيداً من تأييد الرأى العام العالمى .. وفى وسط هذه الأجواء بدأ الاستعداد لاجتماع اللجنة العسكرية فى القاهرة واللجنة السياسية بالقدس .. وبدا أن اسرائيل سائرة إلى حتفها ، فقد توالت ردود فعل اسرائيل تشير إلى احتمال سحب اعلانها بالاستعداد للانسحاب من سيناء .

والحقيقة أن الأمريكيين وكارتر نفسه طلبوا من اسرائيل التوقف فوراً عن بناء هذه المستوطنات باعتبارها أكبر عقبة تقف فى طريق التوصل إلى أى حل..لكن بيجين رفض بشدة لتزداد احتمالات الفشل .ويزيد خوفنا وكآبتنا ..»

«وكانت هذه القضية تحديداً السبب فى فشل اللقاءات الثلاثة الأولى بين كارتر وبيجين والسادات ووصل الأمر لدرجة أن كلا من بيجين والسادات لم يكونا على استعداد لتقبل ملاحظات «الآخر..» وهو السبب الذى دعا كارتر لاقتراح عقد لقاءات ثلاثية على أن يجتمع هو بكل رئيس على حدة ،، وقتها أعلنت رأيى بصراحة وقلت لبيجين إن الدنيا لن تنتهى ولن تقوم القيامة لو أوقفنا بناء المستوطنات ، ولكن الدنيا يمكن أن تنتهى فعلاً وتقوم القيامة فيما لو فشلت المفاوضات ..»

وأضاف وايزمان : إنه ومنذ شتاء ١٩٧٨م أصبح موضوع المستوطنات بالفعل هو قضية الخلاف الرئيسية التى تهدد السلام حيث أصبحت هذه المستوطنات بمثابة عائق كبير فى كل مباحثات جرت بين مصر واسرائيل أو فى واشنطن..

وأصبحت صورتنا غاية فى السوء .. فالعالم يتابع من خلال شاشات التلفزيون صورة اسرائيل التى تسعى بكل جهدها لتخريب جهود السلام .. فى الوقت الذى تزايد فيه حماس الرأى العام العالمى بأن السادات هو البطل الأسطورى الذى يبحث عن السلام ..

وراحت الأقمار الصناعية تنقل للعالم صوراً تفصيلية عن المستوطنات الاسرائيلية والتى اشتد الهجوم عليها لدرجة أن الرئيس كارتر شخصياً راح يقود هذا الهجوم ويصف المستوطنات بأنها غير شرعية .. وحتى أعضاء مجلس الشيوخ الامريكى والذين كانوا يؤيدون اسرائيل راحوا هم أيضاً يتساءلون عن أهمية هذه المستوطنات بالنسبة لنا.

وباختصار أصبحنا فى أسوأ موقف بسبب هذه المستوطنات لدرجة أن كثيرين وصفونا بأننا «حقراء» «ومخادعون» و «اعتبرونا أحفاد شيلوك اليهودى»؟!..وهكذا كادت المستوطنات تنسف عملية السلام مع مصر ...

ويعود وايزمان بذاكرته عن تفاصيل بعض الأحداث التي فجرتها قضية المستوطنات أثناء المباحثات مع مصر فيقول :

« في الواقع كان يؤلمني كثيراً أن العالم كله يقف ضدنا ولهذا السبب كانت تصريحاتي المختلفة والتي أغضبت زملائي من أعضاء الحكومة وجعلتهم يهاجموني .ولم التفت الي هذا الهجوم.. وإنما كل الذي كان يهمني أن السلام يوشك أن يغرق في بحر المستوطنات.. وكما ذكرت فان الصورة في واشنطن اصبحت قاتمة الي حد كبير خاصة أن بيجين لم يكن علي وفاق مع كارتر .. وفعل الشئ الذي بدا خاطئاً بكل المقاييس.. فقد أعلن ان اسرائيل لم تعد في

حاجة لتنسيق استراتيجي مع البيت الأبيض .. الأمر الذي أغضب كارتر بشدة خاصة ان السادات كان علي وفاق معه.. والحقيقة ان اسرائيل - في تصوري - لم تنجح في تجنيد القوي السياسية ليهود امريكا لأجل تحقيق أهداف لا يؤمنون بها أساساً ..

وكنت أبحث عن وسيلة للخروج من هذا المأزق.. وجاءت الفرصة عندما طلب مني السادات الحضور للقائه .. وأسعدني كثيراً عودة المباحثات .. وتجدد الأمل في تحقيق السلام .. وأخبرت بيجين بدعوة السادات للقائي فغضب بشدة.. وكان فيما يبدو متأثراً بالحملة الشرسة التي راحت الجرائد المصرية تشنها عليه..

وأعرب بيجين عن غضبه أمام الوزراء عندما قال: ماذا أفعل.. يبدو أنني لا أعجب السادات.. وايزمان فقط هو الذي يعجبه.. لكنه في النهاية وافق علي الدعوة ولا أظنه كان يستطيع أن يرفض .. وسألت المجتمعين عما أقوله للسادات.. فرد بيجين بسرعة قائلاً: قل له أنه لا يوجد حزب واحد في اسرائيل يوافق علي إخلاء المستوطنات» .

وعاد التاريخ يعيد نفسه ، وعادت مشكلة المستوطنات والمستوطنين تشكل حجر عثرة فى طريق تنفيذ الاتفاق الفلسطينى الاسرائيلى .. حقيقة أنها ليست الحجر الوحيد الذى يعرقل خطوات التنفيذ ، ولكنها من أضخم الاحجار الموجودة فى هذا الطريق..

وخلال رحلة «التحدى مع النفس » كان لابد أن تشغل قضية المستوطنات والمستوطنين جانباً كبيراً منها .. فهى قضية حيوية بالنسبة لكلا الطرفين

«الاسرائيلى والفلسطينى» وهى تمثل بالتالى مشكلة وعقبة أساسية فى طريق السلام لذا لابد من الوصول الى حل لها ..

ولكن .. أين هو هذا الحل ؟.. والاستيطان الاسرائيلى يعتبر من أهم دعائم المشروع الصهيونى الخاص بإقامة دولة اسرائيل والذى اعتمد في بدايته على ركيزتين أساسيتين هما : الهجرة والاستيطان ؟..

ولا زالت هاتان الركيزتان قائمتين وراسختين فى الفكر الاسرائيلى حتى الان.. ففى حوارى مع الياهو بن اليسار عضو الكنيست عن حزب الليكود قال: « إن دولة اسرائيل نشأت لاستيعاب ابنائها من جميع أنحاء العالم .. وعندما تأسست اسرائيل كان عدد اليهود فى هذه الديار ٦٥٠ ألف نسمة.. الآن العدد وصل الى ٤ ملايين و٣٠٠ ألف نسمة .. في الوقت الذى يبلغ فيه عدد اليهود فى العالم حوالى ١٢ أو ١٣ مليونا .. ،هناك مجال فى اسرائيل لجميع اليهود فى العالم.. بغض النظر عن مساحة اسرائيل.. ففى مصر مثلاً ٦٠ مليون نسمة يعيشون على امتداد نهر النيل والدلتا فى مساحة لا تتجاوز ٢٦ ألف كيلو متر مربع .. من قال أنه ليس هناك صلة بين المساحة وعدد السكان..

* * *

منذ قيام دولة اسرائيل عام ١٩٤٨ م والهجرة اليهودية تمثل إحدى الدعائم الأساسية فى المشروع الصهيونى الذى يهدف إلى إقامة اسرائيل كدولة يهودية تسعى إلى جمع شمل يهود الشتات بين أرجائها ولقد أبدى بن جوريون اهتمامه بهذا الجانب واحتل عنده المرتبة الثانية بعد الأمن وقبل الاستقلال الاقتصادى لاسرائيل .. لقد فرضت الهجرة اليهودية نفسها على بساط الهجرة

فى اسرائيل وكذلك فى الأوساط الصهيونية العالمية حيث ناشدت اسرائيل منذ قيامها كل دول العالم بفتح باب الهجرة أمام اليهود فى شتى أنحاء العالم ، ولما كان من الصعب عليها استيعاب الاعداد المعلن عنها من المهاجرين داخل حدودها امتد بصرها تجاه المناطق العربية المحتلة لتوطين معظم القادمين اليها فى محاولة لفرض سياسة الأمر الواقع قبل مواجهتها بالدول العربية والوفد الفلسطينى فى مؤتمر السلام الذى بدأ فى مدريد لحل مشكلة النزاع العربى الاسرائيلى .

حيث ركزت اسرائيل جهودها لاستقطاب اليهود السوفييت اليها ، ولكن منذ الهجرة اليهودية الكبرى من الاتحاد السوفيتى السابق فى عام ١٩٨٨م وحتى سبتمبر ١٩٨٩م لم يصل الى اسرائيل سوى عدد قليل من اليهود بسبب توجه أغلبية المهاجرين من اليهود السوفيت إلى الولايات المتحدة ، وبعض الدول الأوروبية خاصة أن الولايات المتحدة كانت قد منحت اليهود السوفييت صفة لاجئ سياسى فى هذه الفترة كطلب المنظمات اليهودية الأمريكية ثم عادت هذه المنظمات وطالبت الادارة الامريكية بفرض القيود أمام هؤلاء المهاجرين تلبية لرغبة اسرائيل فى تحويل وجهتهم اليها .

وبالتالى نجحت اسرائيل فى غلق جميع الأبواب فى وجه المهاجرين من اليهود السوفييت واجبرتهم على التوجه اليها ، وتفادياً لردود الفعل العربية المتوقعة سارعت السلطات الصهيونية منذ مارس ١٩٩٠م الى اتخاذ عدة خطوات من بينها اعتبار أن المعلومات التى تتعلق بالمهاجرين السوفيت وعددهم هو سر من اسرار الدولة يحظر على وسائل الاعلام تداوله ومن هنا اصبحت

الارقام التي تنشر عن عدد المهاجرين لا تخرج عن كونها أرقاماً تقريبية مما ينفي القول بوجود احصائيات دقيقة عن عدد أولئك الذين وصلوا منها فعلاً الى اسرائيل ..

وان كانت الارقام التى نشرتها الوكالة اليهودية تشير إلى أن عدد المهاجرين من اليهود السوفيت الذين وصلوا الى اسرائيل خلال عام ١٩٩٠م لم يتجاوز ٢٠٠ ألف مهاجر الى جانب ٨٧ ألف مهاجر وصلوا الى اسرائيل خلال ١٩٩١م وذلك من بداية العام الى آخر مايو من العام نفسه بما فيهم الفلاشا .. هذا فى الوقت الذى افادت فيه المصادرالاسرائيلية أن هناك ٤٠٨و١٥٨و٢ مهاجر وصلوا الى اسرائيل منذ قيامها حتى الآن..

* * *

لم تغفل اسرائيل فى غمرة اهتمامها باليهود السوفيت عن بقية اليهود فى شتى انحاء العالم .. حيث تمكنت فى عام ١٩٨٤م تحت ستار الرقابة العسكرية بمساندة الولايات المتحدة الامريكية فى تهجير ١٢ ألف يهودى أثيوبي من الفلاشا في عملية أطلق عليها «عملية موسى » .. وعاودت اسرائيل محاولتها لتهجير ما تبقى من اليهود الفلاشا فى إطار عودة العلاقات بينها وبين أثيوبيا فنجحت فى تهجير ٣٥٠٠ يهودى أثيوبى اليها خلال ١٩٩٠م ..

وعلى أثر الخلافات التى نشبت بين اسرائيل وأثيوبيا فى عام ١٩٩١م لاتهام اسرائيل بأنها لم تف بتعهداتها تجاه أثيوبيا فيما اتفقا عليه من مساعدات عسكرية تدخلت الولايات المتحدة ، وارسل الرئيس الامريكى السابق مبعوثاً خاصاً على رأس وفد من الخارجية الامريكية الى اثيوبيا لتذليل

العقبات وإعادة ترتيب عملية نقل الفلاشا ، ونجحت المساعى وتم تهجير ١٧ الف يهودى على متن طائرات اسرائيلية وأثيوبية فى عملية اطلق عليها اسم (عملية سليمان) وعملت اسرائيل عن طريق الولايات المتحدة ايضاً على تهجير آخر ما تبقى من الفلاشا حيث يقدر عددهم ما بين ٥٠٠ الى ٢٠٠٠ مهاجر

ولم تقتصر الجهود الاسرائيلية على الاتحاد السوفيتى السابق واثيوبيا فحسب بل ناشدت كل دول العالم فتح أبواب الهجرة أمام اليهود المقيمين فيها كما حدث فى مناشدة سوريا واليمن والعراق بالسماح لليهود المقيمين هناك بالهجرة الي اسرائيل كما نجحت الجهود السرية لتهجير يهود ألمانيا وبعض يهود بورما وبلغاريا والهند .

وهناك الآن حوالى ٣٠ ألف يهودى يعيشون فى الدول العربية مقسمون كالآتى: ١٣ ألف فى تونس ، ٩ آلاف في المغرب ، ٤ آلاف فى سوريا ، ٣٠٠ فى العراق ، ٣٠٠ فى الجزائر ، ١٠ فى البحرين ، ٥ فى ليبيا ، ١٧٨ فى مصر ، ٦ في لبنان ، ٢٠٠٠ في اليمن الشمالى والجنوبى .

هذا وكان ديفيد ليفى قد طلب من السناتور رودس بوشيفتس مبعوث الرئيس الامريكي السابق بوش للحكومة الاثيوبية تسهيل تهجير الفلاشا ، وطلب منه قيام الولايات المتحدة باتخاذ اجراءات فعالة لتهجير يهود سوريا واليمن ، أما العراق فافادت التقارير ان اسرائيل مارست ضغطها على الولايات المتحدة لمساعدتها فى تهجير اليهود الأكراد الذين يقطنون فى المنطقة الواقعة تحت السيطرة الامريكية على الحدود العراقية التركية ..

ويؤكد الواقع السياسى فى اسرائيل ان الجميع حكومة ومعارضة يعقدون

أمالاً كبيرة على الهجرة والمهاجرين وان اختلفت رؤيتهم تجاه الاستيعاب.. فبينما كان شامير يرى ان الهجرة الكبرى تحتاج الي اسرائيل كبرى فإن بيريز دعا الى رصد موارد كبرى لتنمية صحراء النقب والجليل وتشجيع الاستيطان فى تلك المناطق لاستيعاب المهاجرين ..

وجدير بالذكر أن شيمون بيريز كان قد دعا فى عام ١٩٨٤م الي تجميد المستوطنات والاستيطان فى المناطق المحتلة ، وكانت دعوة سياسية أكثر منها أى شئ آخر ، فقد وصل عدد المستوطنين فى هذه الفترة التى تولى فيها بيريز فى حكومة الوحدة الوطنية ، وحتى نهايتها فى ١٩٨٦م ، وصل عدد المستوطنين حوالى ٦٠ ألف مستوطن مقابل ٤٢ ألف فى عام ١٩٨٤م.

وهنا السؤال يفرض نفسه : كيف سيحل السيد بيريز هذه المشكلة التى ساهم بنفسه فى تضخيمها؟.. هذا إذا كان بيريز جاداً اصلاً فى حلها من أجل السير قدماً على طريق السلام؟

* * *

بعد هذا السرد التاريخى الموجز لقضية المستوطنين والمستوطنات يمكن القول أن نهج الاستيطان الذى اتبعته اسرائيل فى المناطق المحتلة قد ضاعف عدد المستوطنين والمستوطنات .. هذه حقيقة .. ولكن الحقيقة الأهم والتى لمستها بنفسى خلال رحلة «التحدى مع النفس » أنه إذا كانت حركة الاستيطان الاسرائيلية قد نجحت من حيث أنشطة الاسكان والطرق والأمتار الخرسانية المكعبة إلا أنها فشلت على المستوى الإنسانى ، فالمستوطنون لم يكونوا رواد مد قومى من الهجرة بل على العكس من ذلك تضاءل المخزون

البشرى الذي اعتمدت الحركة على السحب منه وعدد قليل فقط من المستوطنين هم الذين يكسبون عيشهم فى المدن التى يعيشون فيها على الرغم من مواقعهم الايديولوجية ..

أما اولئك الذين يعملون حيث يعيشون فمعظمهم يعملون كموظفين عمومين تدعمهم الأموال العامة .. فى الواقع تعتبر المدن فى جانب كبير منها مجرد تجمعات للمبيت.. وهذا النشاط الاستيطانى يدعى مناصروه بكل فخر انه استمرار للجهود التاريخية الصهيونية متجاهلين حقيقة أن المنجزات الكبرى للاستيطان فى الماضى كانت فى تطوير القطاع الزراعى الذي وفر مصدراً للحياة ودرجة كبيرة من الاكتفاء الذاتى ، وقدتضاءل ايضاً الاستيطان غير المدفوع بالايديولوجية على أطراف الضفة الغربية وهو الاستيطان الذى يشكل خواصا خلفية لمدن السهل الساحلى وتباطئت عملية الاستحواذ على الاراضى فى أعقاب الكشف عن العديد من الصفقات غير القانونية ..

ان الوضع الذى شاهدته بعينى ولمسته خلال رحلة التحدى مع النفس ، ومعايشتى لكل جوانب المشكلة فوق أرض الواقع ينبأ أن المائة والعشرين ألف اسرائيلى والاربع والاربعين مستوطنة بقطاع غزة والضفة الغربية تعيش على صفيح ساخن وهى تنتظر يوم الانتخابات وانهم لن يقفوا مكتوفى الأيدى إزاء الشروع فى الانتماء – على حد تعبير أحد سكان المستوطنات – فهم يستعدون لهذا اليوم المرتقب .

فماذا يمكن أن يحدث عندما يأتى هذا اليوم المرتقب ؟؟!!..

وكيف ينظر الاسرائيليون والفلسطينيون الى هذه المشكلة .. مشكلة

المستوطنات والمستوطنين ؟.. وما وجهة نظرهم فى إمكانية إيجاد حل يمنع ما يمكن أن يحدث فى هذا اليوم المرتقب؟..

لطيف دورى – سكرتير لجنة الحوار الاسرائيلى الفلسطينى – عندما سألته تقديره لحل مشكلة المستوطنات ، وكيف سيترك المستوطنون مستوطناتهم قال :

«أننا منذ اليوم الأول من الاحتلال عام ١٩٦٧م كنا ضد إقامة المستوطنات فى المناطق المختلفة فقد رأينا فيها حجر عثرة أمام امكانية تحقيق السلام ، وهذا ما ثبت خلال عدة سنوات .. إن الاستيطان وما صرف عليه من عشرات المليارات من الدولارات كان على حساب الشعب الاسرائيلى وعلى حساب المجتمع الاسرائيلى واصبح عقبة فى طريق الحل لان المستوطنات كثيرة، ولو كانت قليلة لسهلت الحل .. وبدون إزالة هذه العقبة ما حدث سلام مع مصر، ومن هنا يجب الوصول الى حل بموجبه يمكن إعادة المستوطنات الى الشعب الفلسطينى وحل مشاكل المستوطنين ».

«والاحصائيات تقول أن ٨٠ ٪ من المستوطنين على استعداد لترك المستوطنات والعودة داخل اسرائيل .. إذن الذين يسببون مشكلة هم ٢٠٪ من المتعصبين والمتطرفين الذين لا يريدون ترك المستوطنات .. وأمام هؤلاء المستوطنين إما أن يكونوا على استعداد للعيش فى هذه المستوطنات تحت السيادة الفلسطينية ، أو أن تقوم الحكومة الاسرائيلية باتخاذ الاجراءات اللازمة لاخراجهم من المستوطنات !..»

فهل تستطيع الحكومة الاسرائيلية اخراجهم فعلاً ؟!..

سؤال كبير يطرح نفسه وتظل الاجابة عنه معلقة ..

أما الجنرال العسكرى «ابراهام تامير» الذى يشغل الآن موقع رئيس اللجنة الادارية لمركز الابحاث السياسية وهو من انصار السلام ويتمتع بقدر كبير من التفاؤل تجاه تحقيق السلام فقال :

« لقد كان رأيى دائماً أن المستوطنات عقبة على طريق السلام .. لأن الهدف من وراء اقامة هذه المستوطنات كان التأثير على الحدود وعدم تغييرها .. بمعنى أن سياسة الاستيطان كانت تعنى أن الليكود كان يريد أن يستوطن جميع الآراضى .. أما حزب العمل فكان يقوم ببناء المستوطنات وفقاً لخطة آلون..»

ورغم أن ياعيل ديان عضو الكنيست تعتبر من أقطاب سياسة السلام مع اسرائيل .. إلا أن كلامها معى عن المستوطنات والمستوطنين كان فيه بعض التحفظ والحذر .. فعندما قلت لها أن اسرائيل تتحدث عن السلام وفى نفس الوقت تواصل بناء المستوطنات.. قالت :

« أن هناك مبالغة كبيرة فى تناول أمر المستوطنات فلا توجد أية مستوطنة جديدة .. ومن الخطأ الاعتقاد بأن اضافة البناء فى القدس يحدث فى داخل الاحياء الاسلامية فى شرقى القدس ، والحقيقة أن ميزانية دولة اسرائيل لعام ٩٣ - ١٩٩٤م لا يوجد بها استثمار من هذه الانواع فى هذه المناطق..»

قلت لها : ولكن ماذا عن المستوطنات القائمة بالفعل فى مناطق عربية محتلة خاصة وانها تمثل عقبة فى طريق السلام .. قالت ياعيل ديان :

« لا شك أن المستوطنات تعرقل مسيرة السلام ، ولكن ليس من المعقول

أن نصل الى اتفاق بشأن هذه المسألة قبل الوصول الى اتفاق شامل ، وعلينا أن ندرك أن باستثناء المشاغبين والمتطرفين من المستوطنين فهناك اناس هذه هى بيوتهم يقيمون فيها طوال الخمس وعشرين سنة الماضية خاصة فى الجولان .. وفى مثل هذا الوضع لا يمكن أن نطلب منهم اليوم إخلاء المكان ونقول لهم إذا فشل الاتفاق ستعودون مرة ثانية .. إنه من الواضح أن الفترة الانتقالية ستعيد جانباً من الاسرائيليين الى خطوط عام ١٩٦٧م..كما من الواضح أن السيادة الاسرائيلية سوف لا ترتبط فى الحل النهائى بمعظم المستوطنات»

وهكذا لم أصل مع كل الذين حاورتهم الى اجابة عن السؤال الكبير : أين الحل فى قضية المستوطنات التى تعتبر من المشاكل الكبيرة والحادة فى طريق مسيرة السلام وعلى مختلف الجهات والمحاور ؟!..

وكان لزاماً أن أتعرف على وجهة النظر الرسمية من خلال أحد المسئولين فى الحكومة الاسرائيلية .. عندما طرحت هذه المشكلة خلال حوارى مع يوسي بيْلين – نائب وزير الخارجية – تصورت أنه سيضع بعض النقاط فوق هذه الحروف الحائرة !!

فى البداية قال لى : « استطيع أن أؤكد .. أنه فى اطار الحل النهائى ، وعندما نصل اليه فسوف ننسحب من معظم الأراضى فى غزة والضفة الغربية.. إن المستوطنات ستكون تحت الحكم السياسى الذى سيقام .. تماماً كما أن هناك مليون عربى تحت الحكم اليهودى .. فلا مانع إذن من أن يكون ١٣٠ ألف يهودى تحت الحكم الفلسطينى العربى»..

وهكذا سيبقى الوضع على ماهو عليه ، وعلى المتضرر أن ينتظر هذا اليوم المرتقب سياسياً وعسكرياً ..

فماذا يمكن أن يحدث عند قدوم هذا اليوم ؟!..

هذا هو السؤال؟!!..

٧

التطبيع.. إلى أين؟.

* اتفاق غزة - أريحا .. هل كــان ســيـناريو متفق عليه !؟.

* الاسرائيليون يتساءلون : لماذا التطبـيع المصرى الاسرائيلى ـ بارد ؟!.

* اسرائيل الكبرى حلم لم يعد قابلاً للتحقيق.

* ديمقراطية اسرائيل : قل ما تشاء ما دمت أفعل ما أريد !



سـؤال كبير يطرح نفسه على الساحة العربية بإلحاح.. ترى هل حدث كل هذا الذى حدث فجأة وبدون مقدمات من مباحثات «أوسلو» وما أعقبها من اتفاق «غزة ـ أريحا» .. هل كان ذلك كله صدفة ؟!..

اتفاقية السلام بين الأردن واسرائيل هل حدثت فجأة وبدون مقدمات هى الأخرى ؟.. أم ان كل ما حدث وما يحدث بل ما سيحدث ايضاً هو مجرد سيناريوهات أعدت مشاهدها وأدق تفاصيلها فى دهاليز وكواليس المطبخ السياسى الأمريكى ؟!..

إن الكثيرين يراهنون أن اتفاقاً سورياً ـ اسرائيلياً سيتم توقيعه عن قريب ، وعندما توقع سوريا مثل هذا الاتفاق مع اسرائيل لتسترد من خلاله (الجولان) فإن مشاكل الحدود اللبنانية الاسرائيلية سوف تختفى تماماً .. كما يرى هذا الفريق ان اسرائيل تحارب سوريا على الأراضى اللبنانية ..

ويتساءل أنصار هذا الرأى ثم ماذا بعد ذلك؟.ماهى الخطوات التالية؟.

ومـاهو مـسـتقبل المنطقـة بعـد أن تتسع دائرة اتفـاقـيـات السـلام بين اسرائيل وجيرانها خاصة بعد الأخبار التى ترصد غزلاً عراقياً - اسرائيلياً تجرى تفاصيله فى سرية تامة ، وإن تسللت بعض الأخبار والخبايا .. فالعراق الذى يعانى العزلة السياسية والاقتصادية - عربياً ودولياً يشعر شعبه وقيادته بإحباطات كبيرة .. وبالمناسبة فقد سمعت أثناء زيارتى الى اسرائيل الكثير من الجدل حـول صـواريخ سكود التى أطلقتهـا العراق أبان غزوها الغـاشم للكويت - تلك الصواريخ التى أكد لى العديد من الاسرائيلين أن بعضها كان مـحشـوا بالحـجارة والغـريب أن مـعظم تلك الصـواريخ أسـقطت على قـرى يسكنها يهود عراقيون !!..

وإن اسرائيل استفـادت أيما استفادة من سقوط هذه الصواريخ عليها والتى لم تصب شـخـصـاً وإن هدمت بعض المنازل التى تلقت اسـرائيل على أثرها تعويضات امريكية تفوق بكثير الخسائر المحدودة جداً من جراء قصف هذه الصواريخ (الفشنك)..وللانصاف أقول أنه عند حديثى مع العديد من عرب فلسطين فى القـدس والضـفـة والقطـاع قـالوا أنه عند بداية سـقـوط طـلائع صواريخ العراق انتابهم شعور بالفخار ، والنشوة فقد كانت المرة الأولى التى يرون فيها السـلاح العربى يوجه الى داخل العمق الاسرائيلى .. ومع مرور الوقت تبدلت مشـاعر الفـخر الي مشـاعر (القـهر) عندمـا اكتشـفوا تواضـع مستوى هذه الصواريخ عندما انحرفت عن اهدافها وسقطت بعيداً عنهم دون انفجارات مؤثرة تذكر اضافة الى تسليح بعضها (بالحجارة) ..

ويتندر البعض ساخراً .. لعل صدام قد أدرك أن أطفال الحجارة قد استهلكوا فى ثورتهم ضد اسرائيل (الانتفاضة) كميات كبيرة من حجارة الأرض المحتلة فأراد أن يرسل لهم هذه الصواريخ المحملة بالحجارة ليواصوا نضالهم .. وينظر فريق آخر من الاسرائيليين الى القذف الصاروخى العراقى لاسرائيل من منطلق ضرورة اعادة النظر فى كل ما يتعلق بنظريات الأمن الاسرائيلى وأهمية الأرض والحدود فى تحقيق (الأمن) على ضوء اختراق هذه الصواريخ مساحات كبيرة من الأراضى الاسرائيلية الى الأماكن التى سقطت فيها .. مهما يكن من تفسيرات هذا الفريق أو ذاك عن الموقف العراقى تجاه اسرائيل فإن معلومات شبه مؤكدة تتحدث عن قرب تطبيع علاقات عراقية اسرائيلية..

* * *

ونمضــى مع القضايا الجدلية التي أفرزتها اتفاقيات السلام العربية الاسرائيلية وما تضمه من اعترافات متبادلة بين اطرافها لتتوقف عند قضية « السوق الشرق أوسطية» .. تلك القضية التى تختلف مواقف أطرافها كل حسب مصالحه وأهدافه .. فاسرائيل تسعى بدأب لقيام هذه السوق حيث حاجتها الشديدة لتحقيق تبادل تجارى بينها وبين جيرانها بل والمنطقة العربية بأسرها حيث الأسواق المترامية والقوى الاستهلاكية الكبيرة لمنتجات تسعى اسرائيل لترويجها ، ومن ثم فهي لا تدخر جهداً في سبيل الاختراق الاقتصادى لدول المنطقة ، والذى بدأ بالفعل تجاه دول الجوار عبر صيغ وأساليب معقدة واحيانا من خلال أطراف وسيطة – دول ومؤسسات ..

إن العزلة الاقتصادية التى تفرضها الدول العربية على اسرائيل تجعلها فى وضع اقتصادى حرج والانفتاح الاقتصادى العلنى على المنطقة العربية سيحدث انتعاشاً كبيراً للصادرات الاسرائيلية ومن ثم انفراد ا اقتصادياً تظل اسرائيل فى أمس الحاجة لتحقيقه.

ومن ناحية فإن عددا لا محدودا من الدول العربية ينظر في حذر شديد لهذه السوق خشية الاختراق الاسرائيلى للاسواق العربية والذي سيحدث ولاشك تأثيرا سلبياً على المنتجات العربية ، ومن هنا تسعى هذه الدول لتأجيل فكرة إقامة السوق الشرق أوسطية خاصة إن بعض المنتجات الاسرائيلية تتميز بتطور نسبى فى مجال تصنيع الالكترونيات والآلات الزراعية وغيرها .. ويضاعف من خطر قيام هذه السوق حالة (التشرذم) التى تعيشها الأقطار العربية ، والتى تغيب معها احتمالات قيام تكامل اقتصادى عربى أو تحقيق حلم قيام سوق عربية مشتركة أو ما يشبه ذلك من تكتلات اقتصادية عربية حقيقية فى اطار نظام دولى جديد لا مكان فيه للكيانات الهزيلة ..

وفى اسرائيل استمعت الى العديد من الآراء حول السوق الشرق أوسطية.. ايلى افيك - موظفة بالادارة العربية بوزارة الخارجية الاسرائيلية- سألتنى رأيى فى هذا السوق .. قلت أنا أراها سابقة جداً لأوانها وأنه لابد أن يسبقها (سوق عربية مشتركة) هذا هو الأمر الطبيعى الذى تقرره حقائق التاريخ والجغرافيا بل والاقتصاد أيضاً .. فنحن العرب لدينا موارد كبيرة جداً ولا ينقصنا سوي التنسيق فيما بيننا وهو أمر سيفرضه علينا حتماً الواقع فى المستقبل القريب .. أما التعاون الاقتصادى العربى الاسرائيلى فلا يزال أمامه

وقت طويل .. طويل جداً .

ردت ايلى بغضب وحده : « ولماذا لا يكون الآن .. الآن وليس غداً .. وأردفت قائلة : اسمح لى أن أقول لك أنك متعصب .. فإذا كنت بالأمس تكره اسرائيل بحجة حروبها مع العرب فماذا تقول اليوم فى ظل السلام المقبل والمعاش بيننا وبينكم »..

قلت بهدوء : «دعينى أصارحك فأنا بالفعل لم أحب اسرائيل يوما ما.. لكن ذلك ليس سبب ما أطرحه من أراء حول عدم ملائمة قيام سوق شرق أوسطية فى الوقت الحالى .. أننى اتفهم دوافعكم فى سرعة قيام التطبيع الاقتصادى مع الدول العربية وأعرف أيضاً أن بعض البضائع تتسرب الى الأسواق العربية لكنها تأتى عبر وسطاء ليسوا اسرائيليين - شركات من دول مختلفة - وحتى يسمح لهذه السلع أن تدخل الأقطار العربية فلابد من تغيير اسم بلد الصنع ، وهذا أكبر دليل على رفض المستهلك العربى لاسرائيل من خلال منتجاتها .. أنا لا أنكر أن قليلاً من السلع الاسرائيلية تباع فى الأسواق العربية، ومنها مصر ولبنان، ولكن معظمها يدخل فى الظلام أحياناً. انه الحاجز النفسى الكبير الذى خلفته صراعات سنوات طويلة وبحور من الدم وآلاف من الضحايا..»

* * *

فى جامعة حيفا وجدت نفسى محاطاً بعدد من أساتذة قسم الدراسات العربية الذين دعونى على الغذاء الذى أعدته إحدى السيدات المغربيات اللاتى هاجرن الى اسرائيل .. أخذت السيدة أثناء اعداد المائدة تسألنى عن مصر

فى شغف وفضول ، والحق أقول فقد كانت هذه السيدة ودودة للغاية ..

وأثناء تناول الطعام فتحت العديد من المناقشات حول السلام المصرى الاسرائيلى ومستقبل التطبيع وأخذ البعض يسألنى عن رأيى فى اتفاقية غزة - أريحا ، ومستقبل السلام فى المنطقة ..

ومن جانبى رحت أعدد مخاوفى وتحفظاتى من أن تتراجع اسرائيل فى وعودها أو أن تنجح فى تفسيرات بنود الاتفاقيات التى توقعها ، وكنت أقرأ الدهشة فى العيون من حولى .. قال أحدهم : من قال ان اسرائيل هى التى تخلف الوعود والمعاهدات .. إننى اضرب لك مثلاً بما يحدث فى معاهدة السلام المصرية الاسرائيلية .. لقد انسحبنا فى الوقت المحدد من كل سيناء وحتى عندما وقعت مشكلة طابا امتثلنا للتحكيم الدولى وتركنا طابا .. وعلى مر السنوات التى أعقبت الانسحاب الاسرائيلى من سيناء لم نسمع عن مشكلة حدودية بل على العكس فإن العلاقات المصرية الاسرائيلية على الصعيد الرسمى والدبلوماسى تشهد تقدماً مضطرداً ، وهب أستاذ آخر يسألنى :

ماهو تفسيرك لقلة الاعداد التى تأتى الى اسرائيل من المصريين فى الوقت الذى تشهد فيه حركة السياحة الاسرائيلية الوافدة الى مصر ازدياداً مستمراً .. بصراحة لماذا يبدو التطبيع المصرى الاسرائيلى بارداً ؟

وقبل أن أجيب اقترب منى رجل في العقد الخامس من عمره وعرفنى بنفسه على أنه مندوب الاذاعة الاسرائيلية فى حيفا وسألنى : هل لديك مانع أن أنقل اجابتك عبر برنامج خاص يتحاور مع زوار اسرائيل؟.. قلت ولم لا ولكن هل تستطيع أن تذيع ما سأقوله دون حذف أو مونتاج ؟ قال طبعاً فنحن

فى اسرائيل لدينا ديمقراطية مساحتها تتسع لكل الآراء .. وهنا أعاد طرح السؤال من جديد: لماذا يبدو التطبيع المصرى الاسرائيلى .. بارداً ؟!..

قلت : «أننى اتعجب من حديثكم عن التطبيع .. أى تطبيع هذا الذى تتحدثون عنه وأراضى عربية تحتلونها وتمارسون على أصحابها أبشع أنواع الاضطهاد .. هل نسيتم أنكم تمتلكون الضفة الغربية والجولان وغيرها من الأراضى العربية؟!.. أى تطبيع هذا الذي تتحدثون عنه والجنوب اللبنانى يقذف كل يوم بوحشية؟!.. إن الأرض العربية والإنسان العربى من المحيط الى الخليج كل لا يتجزء ، وكذلك فان المشاعر والوجدان العربى كل لا يتجزء .. لذلك فإننا فى مصر نتضامن مع كل أشقائنا العرب ونتأثر بما يصيبهم من قمع واحتلال وتنكيل وهذا بالضبط ما تمارسه اسرائيل على أشقائنا الفلسطينيين فى الأرض المحتلة .»

كنت أتفحص الوجوه حولى وأحاول استقراء ردود الفعل لكلماتى .. لكننى عبثاً استطعت أن أرصد أى تأثير على تلك الوجوه التى اعتادت على ما يبدو أن تبتسم، وفى كل الظروف .. عاد المذيع يسألنى من جديد : إذن كيف تنظر الى مستقبل التطبيع المصرى الاسرائيلى بمعنى آخر متى يصبح دافئاً؟.. قلت :« ربما عندما تجلو اسرائيل عن كل الأراضى العربية التى احتلتها بعد ١٩٦٧م وتفسح المجال لقيام دولة فلسطينية .. وربما أيضاً بعد أن تتخلى اسرائيل عن اضطهاد المواطنين العرب فى الآراضى المحتلة والتنكيل بهم .. هكذا نرى أنه لا يزال هناك طريق طويل على اسرائيل أن تسير فيه .. ووقتها سيكون هناك حديث آخر..»

قلت الكثير فى هذا البرنامج وجلست فى اليوم التالى وفى الموعد المحدد استمع لحديثي من القسم العربى فى الاذاعة الاسرائيلية ، وكم كانت دهشتى أن الحديث أذيع كاملاً دون حذف حرف واحد !

وأذكر أثناء المناقشة التى دارت فى جامعة حيفا بينى وبين عدد من اساتذة الجامعة أن وجهت سؤالاً لكبيرهم قائلاً أرجو أن تفسر لى أسباب استمرار اسرائيل فى حروب دامية بينها وبين العرب طوال سنوات طويلة.. كانت دعواها خلالها أن تلك الحروب بهدف تحقيق الأمن لدولة اسرائيل .. ألا ترى معى أنه رغم آلاف الضحايا لم يتحقق لاسرائيل هذا الأمن المزعوم؟..

بدأ الرجل وغيره من الأساتذة يتكلمون لكن أحداً منهم لم يستطع أن يقدم إجابة شافية عن هذا السؤال ..

ومن هذا الحوار الطويل خرجت بانطباع أن كثيراً من الاسرائيليين يشعرون الآن أن الحلم الصهيونى (اسرائيل الكبرى) لم يعد حلماً قابلاً للتحقق على المدى المنظور .. والبعض يصفه بأنه حلم أحمق كاد يتسبب فى تدمير اسرائيل نفسه ؟ ولاشك .. أن الانتفاضة وما خلفته من آثار لدى الاسرائيليين قد ساهمت فى وجود حالة التوتر الذى أصبح يسود النفس الاسرائيلية تماماً كما فعل نصر أكتوبر ١٩٧٣م بهم وإن اختلف حجم التأثير..

إن من يرصد حركة الحياة فى الشارع الاسرائيلى يجد جيلاً جديداً من شباب ولد على أرض اسرائيل .. شباب ينشغل فى مهمة تحقيق ذاته بالدرجة الأولى غير عابئ بما يدور حوله من أحداث .. شباب يتملكه القلق والتوتر والتخبط .. فالهم الاقتصادى يلح عليه ويطحنه والمخاوف الأمنية تزلزل

أعماقه.. أما جيل الآباء والأجداد فإن ذكريات الماضى وفقدان الأحباء فى الحروب المختلفة تضاعف لديه مشاعر القلق والتوتر .. ومن هنا فإن هؤلاء وهؤلاء تواقون الي سلام يحسم مرارة الهاجس الامني الذي عاش طويلاً يضغط على المشاعر والأفئدة ، ولا يستطيع المراقب المنصف أن يعم هذه الصورة من الرغبة الجامحة عند كثير من الاسرائيليين للاندفاع الى السلام، ذلك أن هناك فصائل عديدة من الشعب الاسرائيلى لا تزال ترفع شعارات الحرب والاستيطان.. تلك الصيحات التى يسيطر عليها العنف ، ولعل ابرز هؤلاء هم سكان المستوطنات الذين شبوا على أفكار سوداء شكلت وجدانهم وخطوط تفكيرهم ومنطلقاتهم .. اضافة الى فئات أخرى تستفيد من جو الاستقرار الذي اقيمت اسرائيل وعاشت فى ظله ..

ومع تعدد التيارات والقوى السياسية داخل اسرائيل فإن الرهان الكبير على السلام يتمناه حزب العمل الحاكم ..هذا الرهان الذى يلقى صدى كبيراً فى الشارع الاسرائيلى ، وفى نفس الوقت فإنه يجد من يتربص به من أحزاب وقوى سياسية أخرى يأتى فى مقدمتها حزب الليكود القوى وبعض الأحزاب والتيارات ذات الأوزان المتباينة.. فمن المعروف أن الليكود ينتظر أى كبوة للسلام تعيده الى رئاسة الحكومة فى الانتخابات القادمة فى الوقت الذى يسعى فيه حزب العمل مع أحزاب الائتلاف الحاكم لتثبيت قواعده وتوسيع دائرة شعبيته..

وأستطيع ان اقول من خلال لقاءات عديدة مع شخصيات اسرائيلية تشغل مواقع هامة وكذلك من خلال حوارات كثيرة مع شخصيات فلسطينية ذات

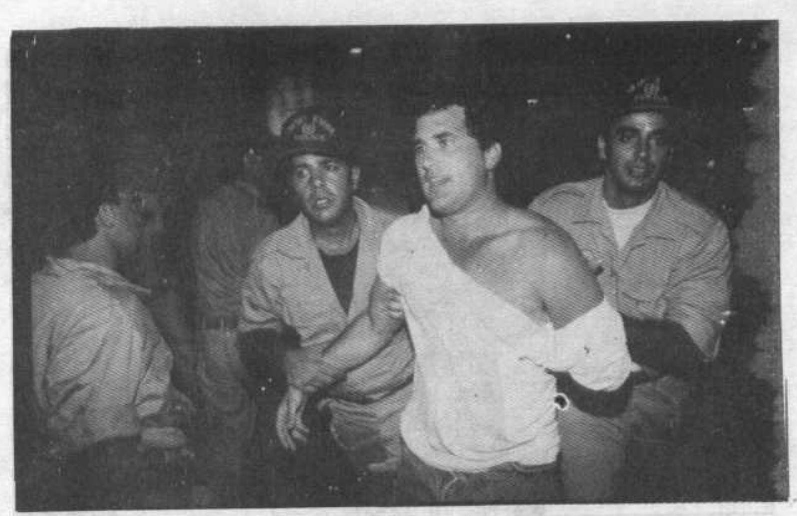
اتصال بالاوساط السياسية .. أن حزب العمل سيظل لسنوات طويلة قادمة يحكم فى اسرائيل ..

وعلى الرغم من ارهاصات السلام الشامل بين العرب واسرائيل .. فإن خطط اسرائيل لجلب مزيد من اليهود من الخارج .. وكذلك إقامة مزيد من المستوطنات فى الاراضى العربية المحتلة مستمرة .. وبأشكال وأساليب مختلفة رغم ما نسمعه من نداءات إيقافها .. فالديمقراطية فى اسرائيل من النوع الذى يمكن أن ينطبق عليه مقولة : (قل ماتشاء مادمت أفعل ما أريد)..

وبعد .. فإن كل ما استشعرته فى الشارع الاسرائيلى ، وما سمعته أثناء حوارى مع العديد من المستويات التى التقيت بها اسرائيليين وفلسطينيين يؤكد أن المنطقة مقبلة على سلام ، وأنه علينا أن نتعامل بحذر مع هذا السلام القادم أو الذى بدأت بالفعل أولى خطواته ، فإن الواقع يؤكد أن ما حصل عليه الفلسطينيون حتى الآن أبعد بكثير عن حقوقهم المشروعة.. كما أن النصوص التى تضمنتها الاتفاقيات تحمل بين سطورها محاذيرا كثيرة .. لكن المنطق يقول « إن رحلة الألف ميل تبدأ بخطوة واحدة » ..

ملف الصور





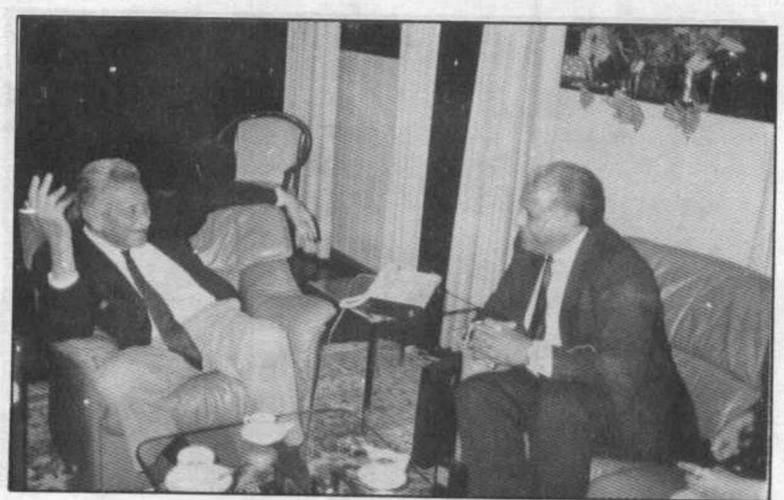
في اسرائيل مجتمعاً يموج بالعنف



تدهور بيئى خطير بغزة



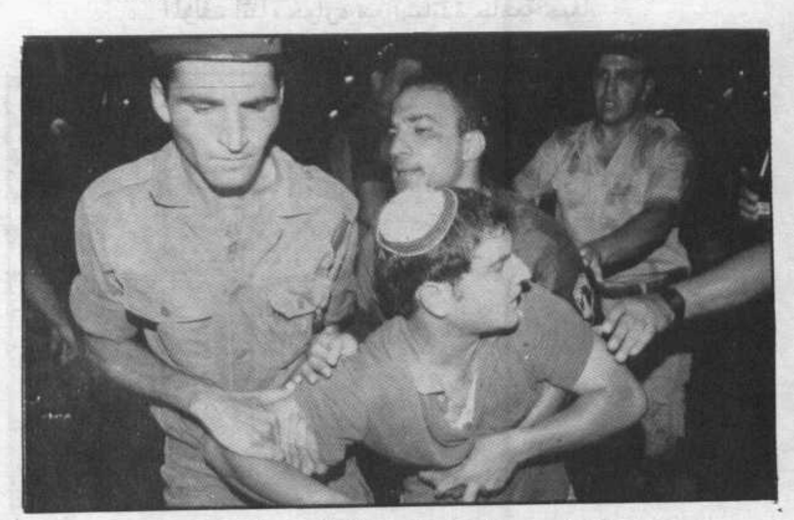
بسبب المستوطنات وصل الخلاف الي ذروته بين السادات وبيجين



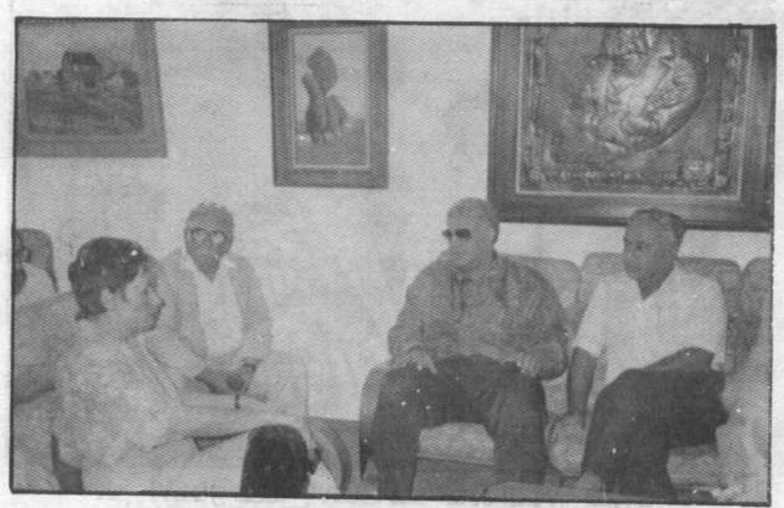
وايزمان يشرح للمؤلف كيف تحول الصقور الي حمائم



حتي الأطفال يحملون لافتات ضد إعادة الجولان لسوريا



كيف سيحل بيريز مشكلة المستوطنين



المؤلف أثناء حواره مع أساتذة جامعة حيفا



يعقوب نمرودي المليونير الاسرائيلي الذي ارتبط اسمه بايران جيت - الفلاشا -
هجرة اليهود السوفيت - زيارة الوفد الليبي للقدس .. وغيرها

الفهرس

رقم الإيداع : ٨١١٧/٩٤

I . S . B . N
977- 08 - 0514 - 9

طبعت بمطابع دار أخبار اليوم